

الفصل الأول

قضايا أساسية Basic Issues

١ - أنظمة ونماذج

SYSTEMS AND MODELS

١ - يبدو أن دور لسانيات النص الذي تزايد أهميته باطراد في دراسة اللغة في كثير من البلدان يشير الى تحوّل في الفكر paradigm shift على حد تعبير توماس كوهين (١٩٧٠). فالانشغال السابق بالجمل التوضيحية المنعزلة عن مواقف النصوص الاتصالية يتحول إلى اهتمام جديد بحدوث التجليات الطبيعية للغة: أي بالنص TEXT. إذ ربما اشتملت وقائع استعمال اللغة على تركيب سطحي من كلمات منردة، أو جمل مفردة، ولكنها تقع في نصوص، أي في أشكال من اللغة ذات معان قصد بها الاتصال To communicate. ودلالات هذا التحول في مجال البحث باللغة الأثر حقا. فنحن لا نتحول عن استكشاف الأقصر إلى استكشاف الأطول من نماذج اللغة فحسب وإنما نجعل الاهتمام أيضا يتجه الى إجراءات الاستعمال UTILIZATION PROCESSES للغة الاتصال بدلا من التركيز على الصيغ المجردة في الذهن (قارن: هورمان ١٩٧٦؛ وهـ. كلارك وإ. كلارك ١٩٧٧).

١ - ٢ - إن الحدود التقليدية الضيقة للسانيات تتلاشى أمام التفاعل القوي بينها وبين العلوم ذات الصلة بها، وهي علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وعلوم الحاسب الآلي والسيوطيقا والسبرنطيقا والتربية والدراسات الأدبية. وينبغي للسانيات إذا لم تتلاش بسبب عزلتها من حيث هي حقل للبحث (كما تنبأ إينجفي ١٩٦٩) أن تصبح علما محوريا للخطاب والاتصال كما تنبأ كثير من الباحثين اللامعين (منهم مثلا: ليفي شتراوس ١٩٥٨، وندديس ١٩٦٢، وهيمز ١٩٦٢ : ٩، وبياجيه ١٩٦٦ : ٢٥، وهارتمان ١٩٧٠ : ٥٣، وماكلاي ١٩٧١ : ١٨٠ والتي بعدها، وياكوبسون ١٩٧٣، وكوخ ١٩٧٣ / ١٩٧٤ :

١١) إن فائدة النظريات والمناهج العامة لنظريات اللسانيات وكذلك صلاحيتها للتطبيق ستكون عندئذ غاية مهمة لا كما كان ذلك في الماضي نتاجا جاءت به المصادفة أو جاء به سوء التفاهم.

١ - ٣ - وفي هذا الإطار تصبح لسانيات النص مجالا لفظيا من مجالات السيميوطيقا يتناول كل المدى الممتد ما بين النصوص ذات الكلمة المفردة (مثلا: الصباح بلفظ «حريق»^(١)) إلى نصوص لها من الطول ما للكوميديا الإلهية The Divine comedy. والصفة المميزة للنص هي وقوعه في الاتصال OCCUR- RENCE IN COMMUNICATION (هارتمان ١٩٦٤) حيث يتتجه طرف واحد في بعض الحدود الزمانية (قارن: فاينريش ١٩٧٦ : ١٨٧). ويمكن لمجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أن تعد خطابا DISCOURSE^(٢) أى تواليا للوقائع الاستعمالية occurrences يمكن العودة إليه في وقت لاحق (قارن فاندايك ١٩٧٧ a). أما جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة أو مجتمع فإنها يمكن أن تسمى عالم خطاب UNIVERSE OF DISCOURSE (قارن: van dijke 1967:596; coseriu 1955 - 56) 1977 a: 127

١ - ٤ - إن اللغة الإنسانية على درجة من التركيب في نظامها والاختلاف في تجلياتها تجعل علم اللسانيات دائم التطور. فاللغوى يواجه وفرة عظيمة من مادة البحث تمتد بين ما يدرك بالملاحظة من التخاطب المباشر وبين العويص من التأملات الرياضية والفلسفية في اللغة. ولقد اضطرت اللسانيات في مراحلها الأولى إلى أن تكون انتقائية Selective واختزالية reductive في نظرتها إلى حد بعيد (3) Grimes 1975: 107; Unlenbeck 1973). وكان من أثر التقدم

(١) في هذا الكتاب جميعه أضغ الأمثلة اللغوية المذكورة في مجرى النص بين أقواس اقتباس مفردة، ولا ترد علامات الترقيم الا أن تكون جزءا من المثال.

(٢) استعمل مصطلح «تحليل الخطاب» استعمالا مختلفة ليدل على لسانيات ما و الجملة بصفة عامة (هاريس ١٩٥٢) وعلى دراسة للحادثة بصفة خاصة (كولتهارد ١٩٧٧) أما في خطتي فإن هذين المجالين

ليسا أكثر من جزء من علم النصوص التي هي أحداث اتصالية فعلية

المستمر أن يصبح قسط كبير من هذه النظرة غير ضروري، وإن كان النقاش حول القضايا المسلم بها مازال مستمرا. ونحن الآن تقترب من زمن يمكن فيه اللسانيات أن تستطيع باتساع آفاقنا أن تفي بالمطالب التي يفرضها عليها المجتمع (قارن: هارتمان ١٩٧٠).

١ - ٥ - ومهما كثرت المادة التي يجمعها الباحث ويقومها فإنها لا يمكن أن تكون ذات دلالة إلا من حيث صلتها بالهموم المعرفية - COGNITIVE INTER-ESTS (قارن: كوهين ١٩٧٠؛ وشميدت ١٩٧٥): أي الالتزام بالبحث عن أنواع معينة من المعرفة. وليس من الواضح بذاته وبخاصة في اللسانيات أي الأشياء يمكن أن يعد مادة صالحة للبحث، أو كيف ينبغي لهذه المادة أن تعالج. إن الهموم المعرفية التي ذكرت في هذا المجلد خصصت للنصوص من حيث هي وسيلة لحمل الأنشطة الإنسانية HUMAN ACTIVITIES. وتلك فكرة دارت بأذهان الكثيرين من مؤسسى علم اللسانيات (ومنهم مثلا: مالبينوفسكى ١٩٢٣، ويسبرسن ١٩٢٤ وبوهلر ١٩٣٤).

١ - ٦ - ويمكننا باستعمال مصطلح «تنظيم» الذي أشاعه كارل كامبل (واقبسه ستيجمولر ١٩٦٩: ٢٠٥ أن نحدد التناول العلمى لمادة البحث بأنه تنظيم -SYS- TEMATIZATION أى فرض نظام ما على المادة التى نحصل عليها. وبعدّ النظام SYSTEM وحدة قوامها العناصر ELEMENTS^(٣) ذات العلاقة المشتركة التى تتحدد وظائفها FUNCTIONS بواسطة مساهماتها الخاصة فى أداء المجموع لوظيفته. ولتفسير مادة البحث يبنى الباحثون نموذجا تنظيميا -SYS- TEMIC MODEL قد تستعاد هذه المادة بواسطة تطبيقه (انظر فكرة النموذج لدى هارتمان ١٩٦٥؛ وجوليش وريبيل ١٩٧٧) - إن الترابط بين النموذج وأى مجال علمى إنما يجرى تنظيمه بواسطة مبادئ عبور BRIDGE PRINCIPLES (هيمبل ١٩٦٦) تعبر عن درجة التقارب APPROXIMATION بين النموذج والمجال العلمى المذكور (قارن: أبوستيل ١٩٦١) ويختزل التقدم العلمى على

(٣) إن المصطلح element يعمل للدلالة على أى عنصر يتوقف وروده أو استعماله على قواعد نظامية (أى متبعية إلى نظام).

المستوى المثالي دائما درجة التقارب المذكور ليجعل النموذج أكثر ضبطا. وعلى أى حال قد تكون مادة الدراسة ذاتها متممة بالضبابية، FUZZY أى متممة بتراكيب وأداءات احتمالية غير معينة بخصوصها. وتلك هى حالة الاتصال بواسطة اللغة الطبيعية.

١ - ٧ - ولقد استقر عند اللغويين أن ينظروا الى اللغة من حيث هى نظام (انظر: سوسير ١٩١٦؛ وفاينريش ١٩٥٤؛ وفيرث ١٩٥٧؛ وهاليدى ١٩٦٧؛ وهيجر ١٩٧١؛ ولابوف ١٩٧١؛ وفينوجراد ١٩٧٢؛ وييرى ١٩٧٧؛ وكلارك وكلارك ١٩٧٧، وفاندايك ١٩٧٧).

ويتضمن النظر الى اللغة من حيث هى نظام اهتمامات معرفية تدور حول حركية كائن ما DINAMICS OF AN ENTITY (هارتمان ١٩٦٣-١٩٦٣) وهذه الاهتمامات حركية مثل الضبط CONTROL والتفاعل INTERACTION بين العناصر. وإن نظرية الأنظمة التى أصبحت علما قائما بذاته (قارن: بولدينج ١٩٥٦؛ وبرتلانفى ١٩٦٢، وبكلى ١٩٦٨) قد صادفت قبولا فى مجالات مختلفة للبحث مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم السلوك وهندسة التصميمات وعلم المعلومات وعلم الحاسب الآلى وتحليل العوامل Factor analysis وديناميكات الحرارة thermodynamics والطبولوجيا الرياضية وعلوم أخرى كثيرة. إن شيوع تناول المادة من وجهة نظر النظام يثرى الناحية الاستكشافية heuristically من حيث إنه يعين على المشاركة فى النماذج بين العلوم وعلى استعارة النماذج من علم الى علم. وللنماذج المستعارة بالطبع آثار حاسمة فى طرق البحث ومن هنا ينبغى أن تستعمل بحذر.

١ - ٨ - إن اللغة فى أولى صورها حالة من حالات التجلى - MANIFESTATION بمعنى أنها واقعة أو مجموعة من الوقائع التى تعرف بواسطة الوعى الاستبطانى apperception (قارن: ستيجمولر ١٩٦٩: ٩٣) فالنواحي التى تقع تحت الملاحظة تتفاعل مع التى لا تقع تحتها بطرق متداخلة متشعبة. وهكذا ينبغى للصورة الكلية للغة أن تستكمل بالتدرج بواسطة نسق من المهمات التنظيمية - فمثلا:

١ - ٨ - ١ - التعرف IDENTIFYING على شاهد لغوى ما وعلى مكوناته أو على محيطه.

١ - ٨ - ٢ - التعميم GENERALIZING فيما يتصل بالشواهد ذات العلاقة المشتركة.

١ - ٢ - ٣ - وصف DESCRIBING مجموعة من الشواهد وصفا منهجيا.

١ - ٨ - ٤ - تفسير EXPLAINING وجود الشواهد أو وقوعها.

١ - ٨ - ٥ - توقع PREDICTING الأمثلة تحت شروط ثابتة.

١ - ٨ - ٦ - إعادة بناء RECONSTRUCTING أقيسة مصطنعة على تلك الشواهد.

١ - ٨ - ٧ - ضبط MANAGING تكوين الأمثلة المقيسة.

١ - ٩ - هذه المجموعة من المهمات مرتبة فيما أرى بحسب تزايد الصعوبة. ويقتضى إتمام أى مهمة منها أن يسبقه إتمام ما قبلها. وينبغى لنا فى التطبيق على كل حال أن نعمل فى الغالب وعلى سبيل الاحتياط بدون هذه الشروط المسبقة. فالتربية العامة مثلا ربما تطلبت توجيه اللغة بدون أى بيان توضيحي أو تنبؤى.

١ - ١٠ - وحين اتجهت اللسانيات إلى أن تصبح علما مضبوطا discipline عمدت إلى الابتعاد بنفسها عن الطموحات الترويضية التى فى النحو التقليدى. ولقد سعت إلى إيجاد بعض الوسائل الموضوعية النافعة عند القيام بمهمات أساسية كالتعرف والتعميم والوصف. ثم وصلت فى هذه المرحلة المتقدمة التى تسمى «اللسانيات الوصفية» إلى منهج مضبوط إلى درجة تكفى للكشف عن النظم النحوية لعدد كبير من اللغات التى لم يتم تسجيلها من قبل وقد كان ذلك حتى مع عدم المعرفة السابقة بتركيبها (وبخاصة من خلال فكرة التجميمات tagmemics التى طورها كينيث بايك ١٩٦٧ وروبرت لونجثيكر ١٩٦٤). ووقع التركيز لأسباب مفهومة على جوانب من اللغة يسهل الوصول إليها بالملاحظة:

كالأصوات والصيغ وترتيب عناصر النطق. أما تناول النواحي التي لاتصل إليها الملاحظة كمرتكزات Strategies الاتصال أو العمليات النفسية^(٤) فقد كان حدسيا غير شكلاىنى. ولم يكن الاتصال من حيث هو نشاط إنسانى يعد موضوعا رئيسيا للدراسة قائما بذاته.

١ - ١١ أما التناول «التوليدى» لدراسة اللغة فقد وقع على المهمات الاكثر صعوبة، وهى: التفسير، والتوقع، وإعادة البناء (بدءاً من هيلمسف ١٩٤٣؛ قارن: تشومسكى ١٩٥٧). وقد استعار التوليديون الكثير من المنطق الصورى لبناء نموذج تجريدى للغة الإنسانية مع قيود شديدة على موضوع الدراسة. وكان الاختلاف بين نموذجهم والمادة الحقيقية للبحث فى بعض النواحي قويا إلى درجة كافية لإيجاد قطيعة بين الدراسات الموجهة بواسطة هذا النموذج والدراسات الموجهة بواسطة مادة البحث (ليفريك ١٩٧٣). إن توسيع مجال اللسانيات بحيث يشمل العناية بمهمات جديدة سيظل على كل حال مساهمة باقية على الزمن مما تقدم به النحو التوليدى (قارن: دينجورول ١٩٧١).

١ - ١٢ - إذا كانت النماذج واسطة بين ما نستطيع إدراكه وما نريد تفسيره (شعار ينسبه جوليش وراييل ١٩٧٧: ١٤ الى أنكساجوراس. قارن: فاجنر ١٩٧٤: ١٥٠) فإن المواقف التالية قد تبرر الاعتماد على النماذج (مأخوذ بتصرف من أبوستيل ١٩٦١):

١ - ١٢ - ١ حين لا توجد أية نظرية معروفة للمجال المدروس.

١ - ١٢ - ٢ أو تكون هناك نظرية معروفة ولكنها على درجة من التركيب لا تسمح بحل المشكلات بواسطة الطرق المستعملة فى الوقت الحاضر.

١ - ١٢ - ٣ أو تكون ثمة نظرية معروفة ومؤكدة إلى حد ما ولكنها غير مكتملة.

(٤) علق بيتر هارتمان فى (اتصال شخصى) بان فكرة الملاحظة فى هذه المناقشات المتقدمة كانت إلى حد ما فى غير موضعها. فتنطبق طرق الإجراءات الاتصالية بضمن القوة للدراسة الموضوعية سواء نظرنا أم لم ننظر إلى مادة البحث فى صورتها البالغة التفصيل.

١ - ١٢ - ٤ أو حين يسمح البحث الحديث بترباط نظريتين معروفتين أو أكثر أو امتزاجهما .

١ - ١٢ - ٥ أو حين تكون موضوعات البحث أكبر أو أصغر أو أبعد أو أصعب من أن تسمح بملاحظة مباشرة أو بإجراء تجارب .

١ - ١٣ - وتوجد هذه المواقف التالية جميعا إلى حد ما فى اللسانيات :

١ - ١٣ - ١ مازال بعض النواحي غير خاضعة لنظرية صالحة كما فى المنطقة المشتركة بين اللغة والحالات الانفعالية لطرفى الاتصال .

١ - ١٣ - ٢ وهناك بعض النظريات فى متناول أيدينا كنظرية مونتاجيو Mon-
tague النحوية (١٩٧٤) ولكنها على درجة من التفصيل والتداخل تمنع الانتفاع بها فى المشكلات العملية للغة بالطرق المنهجية السائدة على الأقل .

١ - ١٣ - ٣ - ويظل تناول «التوليدى» للغة غير مكتمل حتى يمكن له أن يوضح كيفية إنتاج النصوص وفهمها لدى بنى الإنسان .

١ - ١٣ - ٤ - ويتطلب البحث فى النصوص توحيد النظريات بالنسبة لمجالات متعددة مثل نحو الجملة والفلسفة والإحصاء والإدراك Cognition والتخطيط والعمل .

١ - ١٣ - ٥ - كما أن بعض النواحي فى حقل دراسة اللغة من الضخامة (كمجموع الاتصال فى مجتمع ما)، أو من الضآلة (كالنبيضات الصفرى لخلايا الأعصاب عند صياغة الأداء اللغوى)، أو من البعد (كاختزان المعلومات فى الذهن)، أو من الصعوبة (كنسبة كل من المكونات الصفرى فى النظر إلى تطورها الاجتماعى أو النفسى أو التاريخى) بحيث لا يمكن تتبعها بالتجربة المباشرة .

١ - ١٤ - وللفضل بين ما اطرده من اللغة وبين تفاصيلها العرضية يمكن للمرء أن يميز النواحي النظامية SYSTEMIC منها وهى المسماة langue أو

Competence والنواحي التي تبدو عرضية أو منفكة irrelevant وهي التي تسمى Parole أو performance. إن الخط الفاصل بين هاتين الطائفتين يتحرك عندما نكتشف أن المجالات التي كنا ذات يوم نظنها عرضية تبدو آخر الأمر ذات طبيعة نظامية. فالجملة مثلا كانت لدى سوسير تنسب الى الكلام parole (1916: 172) ثم أصبحت أمراً مبدئياً للمقدرة Competence فى النحو التحويلي من كتاب تشومسكى (1957). ولسوف أناقش (فى الفصل الأول - 5) اشتمال المقدرة النصية TEXTUAL-COMPETENCE على مجالات ذات اختلاف واضح عما تشتمل عليه المقدرة الجمالية - COMPE- SENTENCE - TENCE (قارن أيضا: الفصل الرابع - 1 - 24).

١ - ١٥ - إن الحدود الخاصة لمفهوم langue أو competence تؤثر وتتأثر بالنماذج والمناهج المستعملة. ولقد فتت الوصفيون أجزاء نماذجهم باصطناع مستويات LEVELS ووحدات صغرى MINIMAL Units يفرعونها من خلال التصنيف TAXONOMY أى بخطة لتوزيع العناصر بواسطة السمات المميزة distinctive features. وإذا كان كل مستوى من مستويات الوحدات الصغرى يعد نظاما من التقابلات المتبادلة mutual Oppositions فإنه ينبغي لحصيلة كل نظام أن تجمع بأكملها، ومن ذلك مثلا: الصوتيات (phonology) والصرف (morphology) أما العلاج الشامل للمعاني والمواقف فقد رؤى مستحيلا فنحيت هذه المجالات جانبا. ولقد فضل التوليدون فيما بعد أن يبدأوا من الطرف الآخر بالقواعد (GRAMMAR) من حيث هى مجموعة من الضوابط التي تحدد ما يتمى وما لا يتمى إلى اللغة. وتأجل النظر فى مسألة الشمول بافتراض أن كل المكونات المركبة (مهما كثرت) يمكن استخراجها من مجموعة محدودة من المكونات البسيطة (kernels) باستعمال الضوابط المناسبة. ولقد وضعت هذه الضوابط بحيث تنتج مجموعات لا نهائية infinite من الجمل.

١ - ١٦ - إن التناول التوليدى أكبر فى طموحه كثيرا من التناول الوصفى، لأنه لا يقنع بالاقصرار على تنظيم جميع أشكال الوقائع occurrences اللغوية، وإنما يتزع أيضا إلى أن ينتج أشكالا لما لا يقع منها non - occurrences (ماكولى

١٩٧٦). فإذا أردنا التحديد قلنا إنه ليس نحواً لأشكال الوقائع بأى حال لكونه يعترف باقتصاره على تناول الإمكانيات التجريدية. أما الاستكشاف التجريبي لصدق Verification هذا النحو فيمكن أن يكون صعوبة كبرى. إن الناس ليجدون مشقة في الحكم على ما تجيزه لغاتهم المحلية من الوقائع خارج المدى المحدود نسبياً من الحالات الواضحة التي لا خلاف عليها (قارن: لا بوف ١٩٦٦؛ ولاكوف ١٩٦٩؛ وكارون ١٩٧٠؛ وهيرنجر ١٩٧٠؛ وويدج وانجمان ١٩٧٠؛ ورينجن ١٩٧٥). ويفترض في الحكم بالصواب النحوي grammaticakalness أن ينطبق على التركيب فحسب دون نظر إلى سياق الموقف Context. ولكن التراكيب بالطبع لا ترد دون مواقف، ومن ثم لا يكون لمستعملي اللغة الخيرة المطلوبة لإصدار أحكام ثابتة. ويحاول مساعدو البحث informants في الحقيقة أن يتصوروا المواقف الممكنة لكل مثال (أوهلينيك ١٩٧٣: ٤٢؛ وماكولسى ١٩٧٦: ١٥٥؛ وفاندايك ١٩٧٧ C؛ وسنومايجر ١٩٧٧). ويسهل عليهم الحكم بموافقة القاعدة على الجمل المتبذلة banal التي يتصور وقوعها occurrence من كل فرد (هاوسهولدر ١٩٦٠: ٣٤٠)، أما بالنسبة للحالات الأقل ابتداءً فإن آراءهم غير مستقرة ولا ثابتة. ولقد وجد هيرنجر (١٩٧٠) أن إيجاد موقف context لمثل هذه الجمل البسيطة التالية: "John Left Until 6p.m.". قد كشف عن تغير في أحكام الناس بموافقة القاعدة بما لا يقل عن ٤٠٪! فما يزال الناس أقل استطاعة للجزم بالحكم فيما يتصل بالجمل الطويلة كتلك التي يعارض بها روبنسون (١٩٧٥: ١٤١) وما بعدها) تشومسكى (١٩٧٢).

١ - ١٧ ويمكن للقصور في إجراءات الاختبار العملي لصدق أجزاء كبيرة من نظرية لغة ما أن يؤدي إلى أمور مقلقة (قارن: بوجراند ١٩٧٩ - K):

١ - ١٧ - ١ مثل الدور في البرهنة: كالقول بأن القواعد السليمة هي التي تستنبط من الجمل الصحيحة وأن الجمل الصحيحة هي التي تتولد عن القواعد (قارن: النقد في ديك ١٩٦٧؛ وأوهلينيك ١٩٧٣).

١ - ١٧ - ٢ وكالاتياعتماد على الحدس: أى أن يأتي اللغوى بالجمل التوضيحية التي هي (بحسب الحدس) مطابقة أو غير مطابقة للقواعد (النقد في

ديك ١٩٦٧ : ٣٧٢؛ وأندرسون ١٩٧٦ ٦٩؛ وسليزنجير ١٩٧٧ ٢١)، وبذا يصبح اللغوى نفسه هو مساعد البحث، ومن ثم يكون حراً فى استبعاد الأمثلة غير المقبولة لديه بحسب الرغبة (قارن: رايزر ١٩٧٨ : ٨) مضحياً هكذا بالموضوعية والتعميم كليهما

١ - ١٧ - ٣ - وكالاتعداد بالتفريق بين النظام والأداء: فجميع مادة البحث التى لا تتطابق مع النظرية تستبعد بوصفها أموراً غير ذات أهمية (النقد فى ديك ١٩٧٢ : ٣١٤). والمثال الفاضح المنطوق على هذه المفارقة ما نجده لدى دريشر وهورنشتاين (١٩٧٦ : ٣٢٨) من دعوى أن دراسة النظام تنبثق abstract away عن مسألة الأداء فى جملتها وهى التى تتناول مشكلات مثل: كيف يجرى تطبيق نظام اللغة فى زمن حقيقى، ولماذا يقول المتحدثون ما يقولون، وكيف يجرى استعمال اللغة فى مجموعات اجتماعية مختلفة، وكيف تستعمل اللغة فى الاتصال إلخ. إن حرمان مستعمل اللغة من كل هذه المعرفة لا يمكنه من اكتساب مقدرة لغوية الا مع انحراف شاذ يصيب هذا المفهوم (مفهوم المقدرة) لدى استعماله فى الفهم العام.

١ - ١٨ - وإذا لم يتوافر لنموذج لغوى ما أن يعين إلا على نسبة وصف تركيبى للجمل فإنه يستحق الوصف القديم بأنه «السايات بنوية وصفية» Structural Discriptive Linguistics لا أنه توليدى generative. أما إذا استحق النموذج أن يوصف بهذا الوصف الأخير فينبغى أن يوضح كيف يستعان به على معرفة كيفية إحداث النطق (أندرسون ١٩٧٦ : ١١٨؛ وسيونز ١٩٧٨ : ٢) هنا فقط يمكننا إلى حد معقول أن نقوم باختبارات عملية، وأن نتفق على مستويات فكرية للتقويم والتطبيق وتفضيل رأى ما فى اللغة على بقية الآراء.

٢ - مستويات من نماذج اللغة

LEVELS IN MODELS OF LANGUAGE

٢ - ١ - يمكن لنص منطوق أو مكتوب باللغة الإنجليزية أن يكون أو أن يبدو مركبا من أمور مختلفة فقد يلاحظ من يتأمله رتلا من الأصوات أو الصيغ التي يتلو بعضها بعضا في الزمن الحقيقي للكلام، أو حركة من الشمال إلى اليمين على الصفحة؛ وربما لاحظ متأمل آخر أن المقصود بالنص أن يشتمل على معلومات وعلى معنى؛ وقد يلاحظ متأمل غيره أن النص يمكن أن ينقل إلى شخص ما مطلباً أن يفعل شيئا ما أو أن يصل إلى غاية ما. وكل هؤلاء المتأملين يدركون ناحية واحدة مترامنة من النص، وهي واحد من مستوياته (LEVELS)^(٥). ومن المعقول أنه لا بد للسانيات أن تحاول استنباط هذه المستويات وتنظيمها بوصفها مجالا حقيقيا للبحث.

٢ - ٢ - ولقد كانت بداية اللسانيات في مراحلها الأولى تعتمد على الزعم أن كلا من المستويات ينبغي أن ينظم مستقلا عن الآخر (مثلا: تريجر ١٩٥٠). ويظهر أن هذه النظرة تصلح لوصف الأصوات، وإن كان كينيث بايك (١٩٦٧: ٣٦٢) والتي بعدها) يلاحظ أنها لم تكن موضع التزام حتى من المدافعين عنها. ثم طرأت مشكلات حادة فيما بعد حين اتجه النظر إلى الحد الفاصل بين الصرف morphology والنحو syntax، وجرى تحديد الفرق بين المفهوم الاستبدالي paradigmatic الذي يعين على معرفة أى من الوحدات يمكن أن تشغل موقعا ما، والمفهوم الرصفي Syntagmatic الذي يحدد توالى المواقع ذاتها.

٢ - ٣ - واشتد إصرار قوم على استقلال النحو عن المعنى (قارن: هاريس ١٩٥١؛ وتشومسكى ١٩٥٧). ووجد هاريس بذاته أن من المناسب أن يستعمل

(٥) كان مصطلح level يستعمل دون تمييز في الماضى ليصير في الأغلب مثقلا بمفاهيم مثل rank ومعنى أن level يمثل نظرة كلية للتكافل في نظام اللغة؛ أما rank فيقصد به منزلة من منازل مجال متدرج من حيث الحجم (مثلا كلمة، جملة الخ)

المعنى بوصفه أقرب الطرق إلى تحليل اللغة على شرط أن يصل التوزيع الشكلي الخالص distribution* لعناصر اللغة إلى النتيجة ذاتها. ولقد افترض هاريس فى واقع الأمر أن معنى عنصر ما هو مجموع الشقوب slots التى يحتلها فى الاستعمال. وليس هذا الافتراض نفسه بعيدا عن العقلانية، غير أنه لا يصلح للتطبيق لا بالنسبة لنموذج من نماذج التحليل اللغوى ولا لأنشطة اللغة الإنسانية. وذلك من قبل أن المعنى بحسب هذا الافتراض سيظل خافيا حتى يستوفى المرء استعراض كل التوزيعات التى يتوزعها عنصر ما.

٢ - ٤ - على أن افتراض هاريس أدنى إلى تعليق البت فى أمر الفصل بين النحو والمعنى منه الى التمسك بهذا الفصل. إن المعنى والنحو لا بد أن يتفاعلا حتى تصل عناصر اللغة إلى توزيع ما. ومع ذلك سأزعم أنه ينبغي لنا أن نتقدم بعض الشيء فنبحث عن احتمال PROBABILITY ورود كل من العناصر فى مواقع محددة بحسب النظام. عندئذ نجد أن حسن السبك - well formedness (أى مطابقة النحو) فى توالى عناصر اللغة لا يعد مبدأ كافيا - إذا نظرنا إليه لذاته (قارن: الفصل الثانى - ٢ - ٣٦ وما بعدها؛ والفصل الرابع - ١ - ٢٤).

٢ - ٥ - ومع أن تشومسكى (١٩٥٧) يكرر التأكيد على استقلال النحو عن المعنى حاول النحو التحويلي الهرب من مغبة قصور فكرة التوزيع التى جاء بها هاريس. فلقد شرع تشومسكى فى إنشاء نظام من القواعد التجريدية التى تنتج كل التوزيعات المقبولة فى اللغة بدلا من أن يحلل توزيعات عناصر اللغة على هذا النحو السابق. وهكذا تحوّل الانتباه عن تحليل الكثير من الأمثلة إلى إنشاء القواعد، ولم يؤد هذا التحول فى جوهره إلى تبسيط البحث فى اللسانيات، لأن كل مثال مخالف، للقواعد السابقة كان سببا فى نشأة قواعد جديدة. فكان ذلك من عوامل صيرورة النموذج التحويلي محصنا ضد التخطئة من حيث هو نظرية.

* يقصد بلفظ distribution اختصاص العناصر اللغوية بمواقع معينة فى السياق.

٢ - ٦ - من الأمور التقليدية فى السيميو طبقا Semiotics أن يتم تصنيف كل نواحي الصورة الشكلية تحت مفهوم النحو (SYNTAX) وكل نواحي المعنى تحت مفهوم الدلالة (SEMANTICS) كما يتم تصنيف الجانب الاستعمالي للغة تحت مفهوم التداوليات (PRAGMATICS) ولقد بدأ المنهج التحويلى بمجموعة حرة من القواعد النحوية لعلاج اللغة كلها. أما الدلالة فقد جعلها تفسيراً للجمل التى يتجها النحو بعد تمام إنتاجها، وأما الأغراض التداولية فقد أضيفت فى بعض النماذج بوصفها مرحلة لاحقة من التفسير. وقد اضطر هذا المنهج إما إلى تجاهل التفاعل بين هذه العوامل الثلاثة فى الإنتاج والفهم الفعلين للكلام، وإما إلى إعادة بناء ذلك كله فى قواعد نحوية اعتباطية. وفى عرض بديل لما تقدم تم إعطاء المعنى دوراً أولياً منذ البداية فيما عرف باسم الدلالة التوليدية Generative semantics (انظر الفصل الثانى - ١ - ٦). ومع صرف النظر عن القضايا المفصلة عن بناء القواعد أشار النزاع حول هذه الأمور إلى مسألة أساسية تتعلق ببناء نماذج اللغة وسأتناول هذه المسألة هنا من وجهة نظر تعدد بالنظام.

٢ - ٧ - يمكننا فى تناول نظرية الأنظمة أن نميز بين اتجاهين هما: القولية mod-ularity والتفاعل interaction (قارن: سوسمان ١٩٧٣ : ١٢) والتى بعدها؛ وفينوجراد (١٩٧٥ : ١٩٢) فالاعتماد على المنطق الصورى والرياضيات فى النحو التوليدى ينشأ عنه الطابع القالى، الذى تكون العناصر به مستقلا بعضها عن بعض، وبذا تصبح العمليات صعبة (قارن: لينسك وميلوبولس ١٩٧٢ : ٢). وستجبه نظرتى هنا إلى مبدأ التفاعل الذى بدونه يصبح الانتفاع بالنص بكل بساطة غير صالح للحدث. قارن : الفصل الثانى - ١؛ وووكر (١٩٧٨).

٢ - ٨ - تخيل للحظة نوعا مختلفا من نماذج اللغة يمكن أن نبدأ فى بيانه بواسطة هذين النوعين المشهورين من المستويات وهما:

٢ - ٨ - ١ - النحو من حيث هو SYNTAX PROPER ويختص بالصور المجردة للجمل التى تشرطها قواعد اللغة grammar بقطع النظر عن سياق الموقف context

٢ - ٨ - ٢ - الدلالة من حيث هي SEMANTICS PROPER وهي تختص بالعلاقات بين العلامات والرموز وما تشير إليه أو تعنيه (وودز ١٩٧٥ - ٤١).
 إن جملة العلامات والرموز ويبان معانيها يشتمل عليها المعجم LEXICON فإذا حُدِّت مفردات المعجم بحسب مضامينها فإن لدينا في هذه الحالة ما يسمى بالمعنى المضموني INTENTIONAL MEANING (فمثلا: الأزرق لون يقع في درجات ألوان الطيف بين الأخضر والبنفسجي). وأما إذا حُدِّت هذه المفردات بواسطة الإحالة REFERENCE إلى أشياء فإن لدينا عندئذ ما يسمى بالمعنى الإحالي EXTENSIONAL MEANING (فمثلا: الأزرق وصف مشترك بين جميع الأشياء الزرقاء في العالم). وتوصف معايير الحكم على صدق التعبير عن عالم ما، وعلى جميع العبارات في هذا المنظور بأنها شروط الصدق TRUTH CONDITIONS، كما أن مدى شمول الإشارة لشيء واحد أو لطائفة من الأشياء إنما هو قضية تحديد كمي QUANTIFICATION (فمثلا: كل شخص، أو جميع الأشخاص). أما احتمال العبارة أو ضرورية دلالتها على عالم ما فهو أمر يتعلق بالأسلوبية النحوية MODALITY.

٢ - ٩ - وبحسب التحديد السابق يستقل النحو والدلالة أحدهما عن الآخر. ومن الممكن النظر إلى صورة رصف الكلام قبل الحكم بأن مفردات معجمية بعينها تصلح للوقوع في مواقع بعينها. ولا حاجة بالمعنى المعجمي أن يفرض على لفظ ما أن يرد في موقع معين، ومع ذلك لا يمكن أن يتم التكلم دون اللجوء إلى التمسك بهذه الشروط والالتزامات، ولا أن يكون فهمه بدون الكشف عن ذلك. ومغزى هذا أن النحو من حيث هو والدلالة من حيث هي كما وصفا منذ قليل يعدان مكرنين للغات منطقية لا للغات طبيعية توجد في حالة استعمال. دعنا بدلا من ذلك ننظر إلى مستويين مختلفين من مستويات استعمال اللغة:

٢ - ٩ - ١ - الدلالة النحوية SEMANTICS OF SYNTAX وهي تعنى بكيفية انتفاع الناس بالأنماط والتتابعات الشكلية في استعمال المعرفة والمعنى ونقلهما وتذكرهما. فملاحظة تتابع ما لاسم وفعل يمكن أن يشير توقعاً هو أن فاعلا وحدثا قد جرى التعبير عنهما (قارن. الفصل الثالث - ٤ - ١٦ - ١)

٢ - ٩ - ٢ - النحو الدلالي SYNTAX OF SEMANTICS وهو يهتم
بكيفية ارتباط مفاهيم مثل فاعل وحدث وحالة وصفة إلخ، من أجل إيجاد
معنى كلى للنص. فالدلالة النحوية أكثر اتساما بالتنظيم الرصفي النظمي من
النحو الدلالي. فالحدث مثلا يمكن أن يتصل بفاعل أو زمن أو مكان أو سبب
وهلم جرا، على حين تكون حالات التوالى المختلفة ممكنة في التعبير (قارن:
الفصل السابع - ٢)، (بالنسبة لقواعد ليس لها رتبة ثابتة قارن: يتوفى
(١٩٧٢).

٢ - ١ - ليست هذه المستويات المتشابكة جديدة تماما (قارن: إهوى
١٩٧٢: ٣٣٩؛ وشانك ١٩٧٥ - b: ١٤ وما بعدها؛ ورايزر ١٩٧٦: ١٣)،
ومهمتها إيجاد التوازي بين ما يقوم به الناس من عمل عند استجابتهم للمعنى
في الكلام المتصل. وسوف أزيد هذا الاتجاه وضوحا بتتبع مفاهيم مثل:
الترابط الرصفي SEQUENTIAL CONNECTIVITY أى ترتيب العناصر فى
النص السطحي، والترابط المفهومي CONCEPTUAL CONNECTIVITY أى
كيفية تجمع المفاهيم والعلاقات^(٦). وتحكم إجراءات التخطيط MAPPING
PROCEDURS فى التفاعل بين هذين الأمرين (قارن: جولدمان وبولزر
روايل ١٩٧٧). والنتيجة التى تأتى عن اختيار إجراءات التخطيط لإنتاج النص
تسمى أسلوب STYLE النص.

٢ - ١١ - بعد تنظيم كل المستويات اللغوية تبدو اللغة فى جملتها فى صورة
نظام متشابك INTERSYSTEM تتوقف صلاحيته على تكافل الأنظمة المكونة
(قارن: هاليدى: ١٩٦٩؛ وبرى ١٩٧٧؛ ودريسلر ١٩٧٩). ولكل نظام
ضوابطه الداخلية INTERNAL CONTROLS التى تنظم سنوح البدائل
وإمكان التراكيب، ثم ضوابطه الخارجية EXTERNAL CONTROLS التى

(٦) قارن مفهوم Sence constancy عند مورمان ١٩٧٦ - الفصل السابع.

تنظم تكافل هذا النظام مع الأنظمة الأخرى (٧) ولا غنى عن أى من النوعين عند إنتاج النصوص واستخدامها؛ غير أن الضوابط الخارجية أى الأغراض النفعية لم تحظ بكبير اهتمام فى المناقشات اللغوية

٢ - ١٢ - لقد ألحقت قضايا هذه الضوابط بحقل لم يستكشف بصورة كافية هو حقل التداوليات PRAGMATICS وهو يتناول استعمالات اللغة. وتحول التداوليات على مستوى البرهنة إلى نوع من مادة «ما وراء اللغة» و«ما وراء الدلالة» أى الوعى الذاتى بالأحكام التى تتخذ بالنسبة للرصيف والمعنى. وللوصول إلى تصميم صالح ينبغى لكل نظام أن يشتمل على ضوابطه الداخلية التى هى جزء من بنائه على أى حال. إن التداوليات فى ذاتها مجال للنشاط الإنسانى فى حقل تخطيط PLANNING النصوص بوصفها مطايا للأعمال ذات المقاصد التى تتجه إلى غايات (بوجراند ١٩٧٩ - b). وتتطلب نظرية النصوص بناء على ذلك ثلوثا من المجالات إلى جانب الخطة السيموطيقية الماضية:

النحو: الترابط الرصيفى SEQUENTIAL CONNECTIVITY

الدلالة: الترابط المفهومى CONCEPTUAL CONNECTIVITY

التداولية: أعمال - خطط - أغراض ACTIONS - PLANS - GOALS

وكل من هذه المجالات يخضع لضوابط تتعلق به أثناء الاتصال. وتأتى العناصر المعينة بخصوصها فى حدود استمرارية CONTINUITY تنشأ من الطبيعة التوجيهية DIRECTIONALITY لمجرى الضوابط CONTROL والطبيعة التوجيهية DIRECTIONALITY لمجرى الضوابط CONTROL و بهذا تفتقر هذه العناصر إلى نظرة ديناميكية لا تتجه إلى البحث فى FLOW.

(٧) يشترط لومان (١٩٧٠) فى نظريته التى وصفها للأنظمة العامة أنه يجب لكل نظام أن يفرق بين الداخلى والخارجى أى أن يصرق بينهما من حيث البيئة. ولقد اهتمت اللسانيات بالتفريق بين مجموعات من عناصر النظم على حساب العمليات والوظائف والضوابط. وكما يقول ج أندرسون (١٩٧٦: ٨٩) إن دراسة ذلك قد تم فى النظريات المعرفية cognitive

مشول تراكيب النص فقط، بل إلى العمليات التي يمكن أن تؤلف
التراكيب وتبينها وتتفع بها كذلك (قارن: هارتمان ١٩٦٣ - a
وموكاروفسكى ١٩٦٧ : ١١؛ ودودز ١٩٧٠؛ وفينوجراد ١٩٧٢؛ وكوخ
١٩٧٦). فإذا عرفنا التركيب بأنه علاقة توارد بين عنصرين نظاميين، على
الأقل فمن الواضح أن نظرية استعمال اللغة ينبغي أن تركز على مفهوم
الترايط CONNECTIVITY.

٣- النص فى مقابل الجملة

TEXT VERSUS SENTENCE

٣ - ١ - لقد اعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها فى العصور السحيقة على مفهوم الجملة SENTENCE دون غيره . ومن المقلق أن هذا التركيب الأساسى قد أحاط به الغموض وتباين صور التعريف حتى فى وقتنا الحاضر (د. كونيل ١٩٧٧؛ وجليتز ١٩٧٩). ومازالت هناك معايير مختلفة لجملية الجملة دون الاعتراف بصراحة بأنها تعريفات نهائية بله كونها أساسا لتوحيد تناول موضوعها . فمثلا . (١) إن «الجملة عبارة عن فكرة تامة» (انظر إيقتش ١٩٦٥ : ٢٠) أو «تتابع من عناصر القول ينتهى بسكته» (انظر جاردنر ١٩٦٢ : ٢٠٧؛ وجولدمان وآيسلر ١٩٧٢) أو «نمط تركيبى ذو مكونات شكلية خاصة» (قارن . هاريس ١٩٥١، وك فريز ١٩٥٢؛ وتشومسكى ١٩٥٧). إن اللمحات التضمنية الوظيفية لكل من هذه المعايير تختلف اختلافا تاما فيما بينها، وإن البحث العملى ليوضح أن الناس يختلفون فى أحكامهم بالنسبة لما تتكون منه الجملة . وعند النظر إلى السكتات التى فى الكلام نجد أن «كثيرا من القطع التى تراها هذه الدراسة جملا لن تعد من الجمل بمعايير أخرى» (بروين ١٩٧١ : ٣) وثمة مشكلة أشد خطرا هى أن تحديد حدود الوقائع المنطقية يجرى فى الغالب من خلال علامات غير لغوية (هورمان ١٩٧٦ : ٣٢٩)

٣ - ٢ - ويقنع اللغويون من طريق الحدس كما لاحظ د. كونيل (١٩٧٦) بأن مفهوم الجملة أمر ضرورى، وبهذا يتخطون الصعوبات المنهجية أما فى النحو التحويلي فيتم تعريف اللغة من حيث المبدأ بأنها مجموعة من الجمل، فكل ما لا يوجد فى الجملة (كالاسم مثلا [قارن ليز ١٩٦٠]) لا بد أن يقدر بالتحويل أو الاستنباط . ولقد عولجت الجملة أحيانا لا بوصفها نمطا تحكمه قواعد نحويه، بل عولجت أيضا بوصفها قضية منطقية كلما تهيأت الظروف لذلك، ولكن ذلك من خواص اللغات المنطقية لا الطبيعية فتعريف مكونات

من فيسيل «الموضوع» argument و«المحمول» predicate وارد من وجهة نظر المنطق logic، أما المركب الاسمي noun - phrase والمركب الفعلى verb - phrase فهي مكونات قواعدية خالصة

٣ - ٣ - يبدو أن اللسانيات تميل إلى الخلط بين التخطيط الاختياري optional mapping والتخطيط الإلجبارى obligatory mapping. فالجملة بحسب القواعد لا تمثل إلا تركيباً يمكن في إطاره تخطيط الوحدات الدلالية والتداولية pragmatic-ic؛ غير أن بعض اللسانيين يعدون الجملة تركيباً لا بد أن توجد به هذه الوحدات. غير أن الممارسة تهدم دعوى الاستقلال المزعوم للنحو، لأن الكثير من الصفات المنسوبة إلى الجملة تنتمي في الواقع إلى الوحدات الدلالية والتداولية pragmatic، ولهذا يصعب النظر في مسألة الكيفية التي يعزم DECIDE بها الإنسان على تخطيط شيء ما لغاية بعينها. ونستطيع فعلاً أن نلاحظ أن الناس يصدرون الكثير من الأحكام في شأن التراكيب النحوية (قارن الفصل السابع - ٢) ومادامت اللسانيات تفترض الجملة في البداية فقد يصعب تناول هذه الحقائق؛ إذ يضطر الباحث في اللسانيات أن يتناول ذلك في صورة مَقْدَرَةٍ مثالية ideal competence بعيدة وقاصرة. وهكذا قامت عقبة لا نستطيع النظرية اللسانية أن تتخطاها، لأن معظم المفاهيم الأساسية منقطع بعضه عن بعض، وبذا يتحول الكثير من الحقائق الأساسية للاتصال إلى مسائل غير مطروقة.

٣ - ٤ - وأزعم أن الكيان اللغوي المتعدد المستويات لا بد أن يكون هو النص المشتمل على أجزاء Fragments يمكن لها أو لا يمكن أن تتركب في صورة جمل. ولى أن أذكر الفروق الجوهرية التالية بين النص والجملة:

٣ - ٤ - ١ - إن النص نظام فعال ACTUAL SYSTEM على حين نجد الجمل عناصر من نظام افتراضى VIRTUAL SYSTEM، وسوف أوضح ذلك في الفصل الأول - ٤ - ١

٣ - ٤ - ٢ . والحمله كيان فواعدى grammatical حالص بنحدد على مستوى النحو فحسب أما النص فحقه أن يعرف نعا للمعايير الكاملة للنصية TEXTUALITY كما يجرى إيضاها في الفصل الأول - ٤ (٨)

٣ - ٤ - ٣ - إن قيود القواعد المفروضة على البنية التجريدية للجملة في النص يمكن أن يتم التغلب عليها be OVERIDDIN بواسطة الاهتمام بتحفييزات تعتمد على سياق الموقف - CONTEXT - DEPENDENT MOTIVATIONS (٩). فالعناصر التي يمكن فهمها من الموقف مثلا من خلال الإدراك الحسى يمكن السكوت عنها أو اقتضابها بواسطة المتكلم دون ضرر يعود على الطاقة الاتصالية للنص . وهكذا لا ينبغي للصواب النحوى أن يعدّ قانونا بل أن يعدّ تعويضا DEFAULT أى معياراً يلجأ إليه فقط عند عدم وجود قرائن محددة، أو هو تفضيل PREFERENCE أى معيار يفضل على غيره حينما تتعدد الاحتمالات (قارن مفاهيم «default» و«most likly case» عند كولينز وبراون ولاركن ١٩٧٧ : ١٧؛ و preference عند ويلكس ١٩٧٥ - b و ١٩٧٨).

٣ - ٤ - ٤ - التمييز بين ما يطابق القواعد grammatical وما لا يطابقها non grammatical - تمييز تقابلي ثنائى binary opposition عندما يكون ثمة قواعد دقيقة وكاملة لضبط الجمل (لاكوف ١٩٧٧) (وهذا غير واقع حتى هذه اللحظة). فالحكم بأن تركيباً ما يعد جملة يتم بمقارنة هذا التركيب بالأنماط التي تسمح بها القواعد النحوية . أما التمييز بين ما يعد نصاً «text» وما لا يعد نصاً «non - text» فلا يتم بمثل هذه المقارنة الآلية فكون النص مقبولاً - ACCEPT- ABLE أو غير مقبول NON - ACCEPTABLE يتم بحسب درجة معقدة لا بحسب تقابل ثنائى . وما يتصل بذلك دائماً الاعتماد على تحفيز يتم بحسب

(٨) ولهذا لا أجد داعياً لمناقشة ما إذا كان للجمل معنى فى داخل سياق الموقف أو خارجه (بمعنى فى مقابل أولسون مقبلاً فى كيتن ١٩٧٤ : ١٥) فاللعنى يتم على أى حال إلى النص المكون من جمل . وهذا التركيب فى أقصى حالاته وسيلة لإيجاد علامات معينة لتكوين المعنى (قارن الفصل الثالث - ٤ . ١٦ وما بعدها)

(٩) وتمت ظاهرة الحذف ELLIPSIS إيضاها جيداً لذلك

دفع الموقف contextual motivation ومن المعروف معرفة جيدة على سبيل المثال ان بعض النصوص الأدبية ذات القيمة إنما تعد في واقعها وفيما ينبغي لها خارج نطاق أى نحو معقول (قارن: س. ليفين ١٩٣٢؛ وثران ١٩٦٩؛ وفاندايك ١٩٧٢ - a؛ و١٩٧٢ - b) (قارن: الفصل التاسع - ٧ - ١ وما بعدها). ولكون النص يحدد على أساس واقعه التطبيقي نجد اهتماما هامشيا بمفهوم اللانص «non - text»^(١٠). إن اللسانين الذين يعتمدون تركيب نصوص غير مقبولة «non - texts» لا يساهمون في الاتصال. وهكذا ليس من المحتمل بالنسبة لهم أن يوضحوا الوظائف الاتصالية.

٣ - ٤ - ٥ - ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه SITUATION OF OCCURRENCE تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات STRATEGIES والتوقعات EXPECTATIONS والمعارف KNOWLEDGE، وهذه البيئة الشاسعة تسمى سياق الموقف CONTEXT. أما التركيب الداخلي للنص فهو سياق البنية CO - TEXT (انظر في هذا التفريق بيتوفى ١٩٧١ - b و١٩٧٥ - a؛ وبيتوفى ورايزر ١٩٧٤)^(١١). ويمكن للمرء من جهة أخرى أن يخطط جملا لا يمكن أبدا أن ترد دون تكلف، إما لكونها أطول أو أعقد أو أكثر توابع أو أكثر ابتداء عما يتم قبوله؛ أو لكونها فارغة من المعنى أو غير ذات أثر عملي في الأداء. فالقواعد التجريدية لتكوين الجملة لا يمكن التقنين لطولها أو عدد مكملاتها بحيث يتوقف بعده تتابع العناصر لتصبح الجملة جملة^(١٢).

(١) إن استعمال الأمثلة المخالفة التي يعد الكثير منها شاذا أو مصنوعا قد صادف مبالغة في شأنه في المناقشات اللسانية سيما دون شك إلى إقرار قواعد قطعية (بعيدة عن سياق الموقف) جيدة السبك والأمثلة المضادة لا تتغلب على الأطراد المهم للغة (ويلكس ١٩٧٥ - a قارن الأمثلة الواردة في هامش ١٤).

(١١) استعمال بيتوفى لهذه المصطلحات الثلاثة أكثر ضبطا فمصطلح co - text يتضمن كما قيل مكونات قواعدية ونحوية ودلالات داخلية وصرف وأصوات (أو في النصوص المكتوبة «خط وإملاء»). أما مصطلح context فيتضمن دلالات خارجية وإنتاج النصوص واستقبالها (بيتوفى ورايزر ١٩٧٤؛ وبيتوفى ١٩٧٥ - a) (١).

(١٢) لهذا كان المثال رقم (١٩٤) في الفصل السابع - ٢ - ٢٥ مطابقا للقواعد ولكنه غير مقبول في الاتصال

٣ - ٤ - ٦ - ولا يُمْكِر النظر إلى النص برعم أنه مجرد صورة مكونة من
الوحدات الصرفية morphemes أو الرموز إن النص تجلّ لعمل ACTION
إنساني يَنْوِي به INTENDS شخص أن ينتج نصاً ويوجه INSTRUCTS
السامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة. وهكذا يبدو هذا
التوجيه INSTRUCTION مسبباً لأعمال إجرائية (قارن: شميدت ١٩٧١ - c
١٩٧١ - d و١٩٧٣؛ وفاينريش ١٩٧٦). والنصوص تُراقب MONITOR
المواقف SITUATIONS وتوجهها MANAGE وتغيرها CHANGE كذلك
(قارن: كומר ١٩٧٥؛ والفصل السادس - ٤). وليست الجملة عملاً؛ ولهذا
كانت ذات أثر محدود في المواقف الإنسانية، لأنها تستعمل لتعريف الناس كيفية
بناء العلاقات النحوية فحسب.

٣ - ٤ - ٧ - النص توال PROGRESSION من الحالات STATES
(تشفيف ١٩٧٦: ٢٧ والتي بعدها؛ وفاولر ١٩٧٧: ٧٧). فالحالة المعلوماتية
knowledge state والحالة الانفعالية emotional state والحالة الاجتماعية social
state إلخ لمستعملي النص عرضة للتغير CHANGE بواسطة النص (قارن:
«epistemic change» لدى فاندريك ١٩٧٧: ١٩٤). ويأتي إنتاج النص وفهمه
في صورة توالٍ من الوقائع. وفي كل نقطة من نقاط هذا التوالى تطبق
الضوابط السائدة Current controls التي لاتدعو ضرورة ما إلى كونها من
قبيل المبادئ التجريدية للصياغة. فضوابط بدايات النصوص على سبيل
المثال تختلف عن ضوابط استمرارها ونهاياتها (قارن: هارفيج ١٩٦٨ - b)
وفي المقابل يجرى النظر إلى الجمل بوصفها عناصر من نظام ثابت متزامن SY-
NCHRONIC SYSTEM (أى نظام يُرى في حالة واحدة مثالية مفارقة
للتطور) لتطبيق الضوابط انطباقاً مطرداً CATEGORICALLY (على سبيل
الوجوب والصواب) أولاً تنطبق أبداً.

٣ - ٤ - ٨ - إن الأعراف الاجتماعية SOCIAL CONVENTIONS تنطبق
على النصوص أكثر مما تنطبق على الجمل؛ فالوعى الاجتماعى ينطبق على
الوقائع لاعلى أنظمة القواعد النحوية والوسم markedness الاجتماعى

تراكيب بعينها لا يؤثر إلا في قسط ضئيل من مجموع القواعد، ولا يظهر إلا بتوسط عوامل غير جوهرية في المواقف المعنية^(١٣) ولقد اضطر ولبام لا يوف (١٩٦٩) في سعيه إلى تناول القضايا الاجتماعية بواسطة نظرية للجملة أن ينشئ حشداً من القواعد التي سماها متغيرة Variable أى ليست مطلقة cate-gorical وفي اعتقادي أن اللسانيات المبينة على طابع الممارسة ستكشف عن أن قواعد اللغة في جملتها متغيرة طبقاً لمطالب المواقف الجارية، وبدلالات فعاليات النص التي تسمى إلى ايجاد تأثيرات خاصة^(١٤).

٣ - ٤ - ٩ والعوامل النفسية PSYCHOLOGICAL FACTORS أوثق علاقة بالنصوص منها بالجملة (قارن : فاندايك ١٩٧٢ - a : ٣٢٥؛ وأورتونى ١٩٧٨ - a : ٦٣). فالجملة من حيث الصياغة الذهنية شكل استكشافي heuristic بجانب أمور أخرى تعين على الغايات الشاسعة للاتصال (وكونيل ١٩٧٧) كالتعبير وتذكر المعلومات أو السعى إلى غاية ما. أما حدود الجملة فيتم تعيينها فيما بعد أثناء إنتاج النص، ثم يستغنى عنها في المراحل الأولى للفهم (برايزفورد وفرانكس ١٩٧١). وتلتزم نظرية الجمل في مقابل ذلك تبريراً لذاتها في جعل عوامل معينة متفكة عن موضوع النظرية كمحدودية الذاكرة وحالات الانشغال distractians، وتحويل الانتباه والاهتمام وهلم جرا (تشومسكى ١٩٦٥ : ٣ والتي بعدها). إن وفرة التجارب التي تسمى إلى استكشاف الجمل هي لهذا السبب موضع اعتراض من حيث المبدأ؛ ومع ذلك بعج الباحثون الجملة بكثير من الأمور الأخرى التي تظهر لدى تطبيقاتها العملية إشارات نافعة في دراسة النصوص.

٣ - ٤ - ١٠ - إن النصوص تشير إلى PRESUPPOSES نصوص أخرى بطريقة تختلف عن اقتضاء الجمل لغيرها من الجمل. ويعتمد متعلمو اللغة في

(١٣) إن ازدواج الفاعل في صورة اسم ظاهر وضمير مثلاً ربما عاد إلى طرق إجراء الصياغة التي هي من قبيل ما نوقش في الفصل الخامس - ٥ - ٨.

(١٤) بعض الأمثلة التي تبين كيفية استعمال الناس للغة بفرق غير مالوفة بقصد التأثير يمكن أن يوجد في الفصل الثاني - ١ - ٨، والرابع - ١ - ١٧، والرابع - ١ - ١٩، والخامس - ٢ - ٣، والخامس - ٤ - ١١، والخامس - ٤ - ١٢، والسابع - ٢ - ٣٢.

استخدامهم للجمل على معرفة القواعد من حيث هي نظام افتراضى عام. أما من أجل استعمال النصوص فإن الناس بحاجة إلى معرفة عملية بالأحداث الجارية بخصوصها (قارن: الفصل الأول - ٤ - ١ المعرفة بين النظام الفعال والنظام الافتراضى). وتنطبق هذه الحالة من التناص INTERTEXTUALITY (قارن : الفصل الأول - ٤ - ١١ - ٦) على الملخصات ومسودات Prorocols الموضوعات والاستطرادات والإجابات ومحاكاة النصوص parodies.

٣ - ٥ - إن الفروق الأساسية بين النص والجملة بوصفهما مفهومين لغويين لها دلالة مهمة فى تطور لسانيات النص :

٣ - ٥ - ١ - فالخلط والإدماج فى فهم أمور مثل : الجملة، والقضية، والقول يجب أن تفسح الطريق للبحث فى إجراءات التخطيط mapping proce- dures التى تحكم تفاعل المكونات على مستويات لغوية مختلفة (قارن : الفصل الأول - ٢ - ١٠).

٣ - ٥ - ٢ - وينبغى للبحث عن قواعد مطلقة CATEGORICAL RULES أن يعاد توجيهه إليها باحتسابها تعويضات DEFAULTS وتفضيلات PREEFERENCES تصلح للتطبيق باحتمال PROBABILITY أكبر وأصغر بقصد الاستجابة للموقف (انظر سميث ١٩٧٣ من أجل نظريات الاحتمال فى الأداء). ولا يمكن لنظرية النص أن تقرر ما يجب أن يحدث طول الوقت، بل ولا ما يحتمل أن يحدث معظم الوقت فى ظروف الضوابط السائدة.

٣-٥-٣- ولا يمكن للبحث أن يبنى ولا للنتائج العامة أن تستنبط من الجمل الإيضاحية DEMONSTRATION SENTENCES فقط إذ يصنعها الباحث من أجل دعم رأى بعينه. فالمجالات الأكثر إقناعا للحصول على الشواهد هى النصوص المستعملة بالفعل ACTUALLY OCCURRING TEXTS والتى يؤدّى بها الاتصال (لا توضيح الضوابط والقواعد). وإذا لم نستطع الحصول على الشواهد العفوية فى إحدى الحالات وجب علينا أن نحترس من زعم صحة آرائنا. فلقد قام نحاة الجملة مثلا بالكثير من البحث ليتناقشوا حول مدى تعدد حالات الإدماج Multiple Embeddings الذى يصعب الكشف عنه فى الاتصال الحقيقى (قارن : الفصل الثانى - ٢ - ٢٧).

٣- ٥- ٤- وبيننا نجد معظم ما أصاب نظريات الجملة من نجاح يعود إلى عمليات استبعاد الأمثلة غير المقبولة (رايزر ١٩٧٨ : ٨) نرى نجاح لسانيات النص يعتمد على أساس تجريبي واسع- إذ يجب أن نبحت بنشاط عن الشواهد المتنوعة من كل أجناس النصوص: من القصص، والروايات، والإعلانات، ومن كثير مما دون ذلك.

٣- ٥- ٥- ولا يمكن للسانيات النص أن تعمل على تهيئة نحو تجريدى لتوليد كل النصوص الممكنة فى اللغة، واستبعاد كل ما ليس نصا non-text . فمجال التوليد أوسع من أن يحاط به، ويطرد اتساعه على الدوام. إن مفهوم ما ليس نصاً ليس ذا خطر، لأن وروده يؤدي فى العادة إلى عدم قبوله أو إلى عدم القدرة على الاتصال. أما العمل الأهم للسانيات النص فهو بالأحرى دراسة مفهوم النصية TEXTUALITY من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص.

٣- ٥- ٦- إن النماذج التى تبدو أكثر مناسبة للعمليات OPERATIONS المنتجة فى مجال استخدام النص TEXT UTILIZATION يجب أن تنسب إليها أعلى قيمة بوصفها تفسيرات إيضاحية. ولا ينبغى للصياغات التجريدية التى تتفرع عنها تراكيب متعددة أن تعدّ ممثلة للغة الإنسانية حتى حين تكون عظيمة الجدوى فى الإيضاح. ذلك بأنها فى أحسن أحوالها صنعة من أجل المساعدة والوساطة يتم استبعادها عندما تقترب من نموذج مقبول عن نماذج النشاط الإنسانى.

٣- ٥- ٧- وينبغى لمفهوم المقدرة Competence أن يحظى بنظرة أكثر اتساماً بالتكاملية مما يجرى فى العادة فى قواعد الجملة sentence grammar (قارن الفصل الأول- ١- ١٧- ٣). فعلى أن نبحت فى تحديد القدرات abilities التى تجعل الناس فى العادة من أصحاب المقدرة Competent على إنتاج النصوص وفهمها بنجاح دائم (وإن لم يكن شاملاً). وهذا النوع من نظرية النص سيكون ذا طابع ذهنى mentalistic فى معناه الأساسى (قارن: فودرو بيفروجارت ١٩٧٤) وصالحاً من الناحية العملية للتصديق والتكذيب.

3-5-8- يجب إيجاد تراكيب formulations وشواهد representations يمكن أن تقبل قبولا حسناً من حيث هي إجراءات PROCESSES، لا من حيث كونها تصميمات متخذة من مصدر غير معلوم (مثلاً: الأشكال التفرعية trees، أو الصيغ). وينبغي أن ينم الشاهد عن كيف تنبني be Built هذه العناصر المذكورة وكيف تضبط Be controled وكيف يتاح الوصول إليها Accessed (رميلهارت ونورمان 1975 - a : 35؛ و ج. أندرسون 1976 : 10؛ وهورمان 1976 : 485؛ ولوفتوس ولوفتوس 1976 : 124؛ وليفيك وميلوبولوس 1978 : 3).

3-5-9- وينبغي لأي من القواعد RULES المفترضة أن تشتمل في الوقت ذاته على إجراءات PROCEDURES يمكنة. فقواعد بناء الجملة مثلاً لا بد أن تقدم لنا الإمكانيات الإجرائية التي يمكن تطبيقها في زمان حقيقي تحت شروط طبيعية مثل مدى طول الذاكرة والقدرة على التخطيط (روميلهارت 1977 - a : 122).

3-5-10- وفوق كل ذلك يجب لجهودنا أن تتركس مبدأ تكافل العلوم المختلفة INTERDISCIPLINARY Co- OPERATION - لأن اللسانيات وحدها لا تستطيع أن تقدم الخبرة المطلوبة لمعالجة النواحي النفسية والاجتماعية والحسابية للنص المستعمل (فاندايك 1972 - a : 161).

3-6- ولى أمل أن أحقق هنا بداية متواضعة في سبيل معايشة هذه المعايير. وأؤكد أن مقترحاتي لا بد أن تكون مبدئية في انتظار بحث أكثر شمولاً- غير أنني على الأقل حاولت أن أعمل باستبصار معقول قدر الطاقة في ضوء طائفة تجمعت لدى من البحوث الحديثة.

٤ - النصية

TEXTUALITY

٤ - ١ - علينا أن نلاحظ أن التفسير العام لمفهوم النظام system الذي ورد في الفصل الأول - ١ - ٦ لا ينطبق على مستوى اللغة فقط، بل على النص أيضا (هارتمان ١٩٦٣ - a : ٨٥ والتي بعدها؛ وفاولر ١٩٧٧ : ٦٩) إن تكافل الأنظمة في لغة طبيعية كالانجليزية مثلا يبنى على نظم افتراضية، أي تجمعات وظيفية لعناصر لم توضع إمكاناتها في ظروف استعمال. مثال ذلك مجموع الأصوات والصيغ المعقدة وأنماط الجمل وأسماء المفاهيم الخ التي تهيئها لغة ما لاستعملها. وفي مقابل هذه التجمعات نجد النص نظاما فعلا - ACTUAL SYS- TEM، أي تجمعا من الوظائف يوجد من خلال عمليات قوامها الحكم والانتقاء اللذين يكونان بين عناصر النظام الافتراضى (هارتمان ١٩٦٣ - 6 : ٩٦ والتي بعدها؛ وجوليسن ورايبل ١٩٧٧ : ٣٤ وما بعدها). لهذا يمكن لإنشاء - evolu- tion النص أن يوصف بأنه تفعيل AXTUALIZATION وهذه السمة من سمات الورد كما قلت في «الفصل الأول - ١ - ١ والتي بعدها» هي المعيار الجوهرى للتعرف على النص بهذا الوصف ويتبع ذلك أن النص ليس مجرد منزلة rank مختلفة عن منزلة الجملة (حسن ١٩٧٨ : ٢٢٨) على الرغم من آراء بعض الباحثين (مثلا: بايك ١٩٦٧؛ وجونز ١٩٧٧). وقد يكون النص أكثر من كلمة واحدة، وقد يتألف من عناصر ليس لهما للجملة من الشروط (مثلا: علامات الطرق والإعلان والبرقيات ونحوها).

٤ - ٢ - ولقد كرس اللسانيات جهودها منذ سوسير للدراسة النظم الافتراضية. ومع هذا لا تكفى معرفة النظم الافتراضية لمنح الناس القدرة على الاتصال إلا بطريقة لا هى مباشرة ولا كافية. فلا ينبغى أن تكون المعرفة الإنسانية مقصورة على الإمكانيات المتاحة فقط، بل ينبغى أن يعلم الناس أى الاحتمالات أولى بالاختيار وأصلح للاستعمال فى موقف بعينه ولغرض بذاته.

إن النواحي الافتراضية للتقابلات المتبادلة mutual oppositions والتفريقات differentiations (تبعاً لسوسير)، وجودة السبك Well - formedness (تبعاً لتشومسكى) دليلان غير مكتملين. وأنا أرى قصور أى فهم للمقدرة -compe- tence لا يعتد بمرتكزات strategies التفعيل actualization التى يسلطها الناس على النظم الافتراضية. ولقد لوحظ فى دراسات النصوص الشعرية أن هذه المرتكزات ربما تفضى إلى نصوص مخالفة لشروط ايقاع النظم الافتراضية (قارن: ليفن ١٩٦٢؛ وموكاروفسكى ١٩٦٤؛ وثرورن ١٩٦٩؛ وبوجرانند ١٩٧٩ - e).

٤ - ٣ إن التفعيل إجراء يمكن استكشافه فى حدود تنظيمات السير نطقياً CYBERNETIC REGULATIONS (قارن: برورر ١٩٧٤؛ وكلينجر ١٩٧٧). فالنظام السيرنطقى CYBERNETIC SYSTEM ذو تنظيم داخلى يجعل من المستطاع أن نطبقه على الوقائع الجارية بواسطة التنظيم الذاتى self regulation (قارن: كلاوس ١٩٦٣ و ١٩٧٢). والغاية الرئيسة للنظام هى ثبات STABILITY الحالات والعمليات. فإذا كان فى وسع النظام أن يتكيف adapt انواع من الوقائع فهو عظيم الثبات ULTRASTABLE، وأما إذا اشتمل على عدد من النظم الفرعية عظيمة الثبات فإنه يكون نظاماً فائق الثبات MULTISTABULE (كلاوس ١٩٦٣ : ١٢٥). ويمكن للنظام أن يكون أكثر من ذلك تأثيراً إذا اشتمل على نموذج داخلى INTERNAL MODEL ليته. وإذا كان من الممكن أيضاً أن ينطبق دائماً على هذه البيئة (أى أنه نظام صالح للتعلم A LEARNING SYSTEM) وتصلح هذه الصفات المذكورة أن تنسب إلى نظام تكاملى للغة. ويتم الشئيت المصطنع لوظائف النظم الافتراضية من وجهات نظر تجريدية تزامنية SYNCHRONIC، ومع هذا تتطلب بيئة التطبيق تكيفاً adaptation دائماً لهذه النظم الفرعية بحسب النص. ومن نتائج ذلك أن نظام النص الذى جرى تطبيقه لا يكشف عن النظم الافتراضية التى ساهمت فى ذلك فقط، بل يكشف أيضاً عن التعديلات الملائمة والتكيفات التى وقعت أثناء اجراء استعمال النص. وتظل الأنظمة ثابتة إذا دعمت الاستخدام -UTILI-

ZATION التماسك CONTINUITY ولو أن معظم النصوص في ذاتها جديدة إلى حد ما على الأقل، وتشتمل أحيانا على فجوات كبيرة أو صغيرة من وجهة نظر النظام.

٤ - إن ثبات STABILITY النص بوصفه نظاما سيرنطيقيا يتوقف على تماسك CONTINUITY وقائع الأنظمة المشاركة فيه. وهذه الوقائع لا تتضح بحكم الضرورة. ذلك أن نظام الأصوات أو الرموز الكتابية لا ينم عن كل العلاقات التي تربط الأنظمة النصية بعضها ببعض. فالنص يتسم على أعظم تقدير بالترابطات CONNECTIVITIES أى بإتاحة ACCESS للترابط لا تنقطع فيما بين العناصر الواردة من النظم اللغوية المساهمة. ويمكن لمستعملى النص أن يدركوا التماسك على صورة مهوشة FUZZYNESS فيما بين العناصر (قارن: الفصل الثالث - ١ ٧) ولكن النص ذاته لا يمنحنا غير الترابطات connectivities وهكذا ينبغي أن يكون ثمة ترابط رصفي -SEQUENTIAL CONNECTIVI- TIES تتوقف به عناصر النص السطحي surface text من الناحية النحوية بعضها على بعض (قارن الفصل الثانى)، كما ينبغي للمعنى التحتى underlying meaning أن يشتمل على الترابطات المفهومية -CONCEPTUAL CONNEC- TIVITIES مثل علاقات السببية والزمان والمكان (قارن الفصل الثالث). أما الترتيب الداخلى لأعمال الخطاب DISCOURSE ACTIONS فى النصوص (قارن: الفصل الثالث - ٤ ٢٦) فينبغى أن يكشف عن ترابط الخطط ليكون كل مكون نطقى على صلة RELEVANT بمكون آخر نشط فى خطة الاتصال، مثل النصح والطلب والموافقة أو الإبقاء على رابطة اجتماعية ما (قارن: الفصل السادس - ٤؛ والثامن - ١). والموقف هو الذى يحددكم من الوقائع الفعلية يلزم لايجاد الارتباط - فى المواقف الشديدة التحديد highly determinate يعمد الناس إلى الاقتصاد بواسطة الحذف أو الاختزال فى وقائع البنية التعبيرية السطحية.

٤ - ٥ وليس من الصعب أن نجد الشواهد الدالة على العمليات التنظيمية regulatory بالنسبة إلى النصوص:

٤ - ٥ - ١ فيمكن الوصول إلى اختزال البنية السطحية في نصوص بعينها بواسطة الألفاظ الكنائية pro- forms وصور الحذف (قارن الفصل الخامس - ٤؛ والفصل الخامس - ٦).

٤ - ٥ - ٢ - وتكشف القرارات المتعلقة بتنظيم الأطر بغية الفهم عن استبعاد أحكام حول البنية السطحية، والعكس صحيح (قارن: الفصل الثالث - ٤ - ١٦؛ والفصل السابع - ٢ - ١٠ وما بعدها).

٤ - ٥ - ٣ - وعند وقوع اللبس أو الاضطراب يمكن للناس أن يقوموا باستعمال مزيد من تضافر القرائن الأخرى للوصول إلى النصية textuality (انظر مثلا: الفصل الثاني - ٢ - ٣٧؛ والفصل الخامس - ٤ - ١١).

٤ - ٥ - ٤ - وحين يتم سريان عناصر النص الحاضر يتكيف النظام النصي المختزن في الذهن بواسطة الاختزال أو إعادة الترتيب أو إعادة بناء ما تبقى (انظر الفصل السابع - ٣).

٤ - ٥ - ٥ - إن التضارب discrepancy والتوقف دون الإكمال لا يسببان في العادة فشلا للاتصال، ولكنهما يستدعيان العمليات التنظيمية من لدن القارئ أو السامع (انظر الفصل الأول - ٦ - ٩؛ والفصل الرابع - ١ - ١٢؛ والفصل الثامن - ٢ - ٤٢ وما بعدها).

٤ - ٦ - وأهم شيء هو الطبيعة التنظيمية لتنظيم الاتصال فيما بين الأفراد المشاركين. فمعلومات كل فرد وتجربته فريدة في ذاتها، ومع ذلك يتواصل الناس في العادة بدون مصاعب. فإذا أختق فرد في استعمال النظم الفرعية للغة كما حددها العرف أصبح من الضروري بصورة عامة أن تحدث وقائع تصحيحية: كالشرح وتصحيح سوء الفهم واستبعاد القراءات البديلة والإعادة بل الاعتذار أيضا. إن أعمال الناس وأقوالهم لا تحكمها قوانين مطلقة القواعد، غير أنه ينبغي للناس أن يعتدوا بكيفيات تطبيق النظام إذا أرادوا استعماله استعمالا مؤثرا. إن سوء الاستعمال الفردي نادر، لأنه يكشف بالتحديد عن الوقائع التصحيحية التي تفسد كفاءة النص لو أنها تكررت بكثرة.

٤ - ٧ - ويمكن للكثير من النصوص فيما يظهر أن يبقى وأن يطول استعماله بعد انقضاء الموقف الأصلي الذي قيل فيه . فإذا تعرضت النظم الافتراضية للتغير عبر الزمن أصبح القراء بحاجة الى وسيط ما، كالتدريب المطلوب اليوم على قراءة الانجليزية القديمة أو الوسيطة . أما إذا ظلت الأنظمة الافتراضية ثابتة فإن استعمالها لا ينطوي أبدا على مشكلة . والنصوص تهيم لذاتها مواقفها الذاتية SELF CONTEXTUALIZING ، لأن ما يوجد الكتاب والقراء من إجراءات عند تفعيل النص actualization processes يتكيف تبعا للتماسك continuity والتنظيم regulation (قارن: هالیدی وماكتوش وستريفتر ١٩٦٥ : ٢٤٦؛ و ر . اندرسون ١٩٧٧ : ٢٤٢) . وكلما علت قيمة النص ازدادت فرصة مداومة استعماله ، لأن الأحكام والانتقادات التي كانت عند استجابه تسم بحسن التخطيط وهي سمة الأعمال الخالدة (فينوجراد ١٩٧٧ - a : ٦٩) . ويتضح من هذا العامل من عوامل البقاء سبب دوام النصوص الأدبية والشعرية أطول مما يدوم غيرها من الأعمال (قارن: الفصل السابع - ٢ - ٢٧ وما بعدها) .

٤ - ٨ - من المؤكد أن إمكان اختلاف السامعين أو القارئین فی فهم النص الواحد لا يخلو من إشكال؛ تشهد على ذلك المناقشات الحامية حول دور القراء في النظرية الأدبية (وارنينج ١٩٧٥) . إن ثبات النص يؤخذ من ثبات الأنظمة الافتراضية للاتصال والمبادئ التنظيمية لتفعيل النص، وهذا نوع من الثبات الماورائي meta - stability (ا . د . هيرش ، الاتصال الشخصي) . ولقد اخطأت المناقشات اللسانية الطريق إلى هذه الاعتبارات بسبب تكثيف العناية بصور اللبس الممكنة، أو بالبدائل التي تسمح بها النظم الافتراضية دون عناية كبيرة بواقع ندرة سوء الفهم لدى حالات التكلم الحقيقية . إن صور الصياغة اللغوية التي تأتي عن هذه المناقشات ترجع الى أن مستعمل اللغة يظن في بحر من بدائل الأحكام والتراكيب التي يبدو علاجها معجزا في أي وقت ذي طول معقول يستغرقه هذا العلاج . وهكذا يقول تشومسكي (١٩٧٥ : ٧٧) : «إن دراسة الطاقة اللازمة لاستعمال هذه التراكيب والتمرين على هذه الطاقة مازال على أي حل تراوغ أفهامنا» .

٤ - ٩ إن النحو التحويلي في معظمه نظام افتراضى يسعى إلى تعيين الجمل الممكنة على وجه نهائى دون نظر إلى حدوثها فى الواقع. وليست الأمثلة التى يأتى بها اللسانيون أمثلة فى الواقع إلا إذا أخذت من نصوص أنتجت إنتاجاً عفويًا من لدن غير اللسانيين. ومع هذا نرى النحو الذى يبحث فى التراكيب غير الواقعية يبدو بناءً غريبًا من حيث هو علم، كما نرى استكشاف صدقه مشكلة خطيرة (قارن الفصل الأول - ١ - ١٦ وما بعدها). ومن المؤكد أن تعداد الجمل الممكنة يصبح بعد تنظيم نواة CORE النحو مشكلة أدائية PERFORMANCE PROBLEM (قارن: جريمس ١٩٧٥ : ١٩٨٠) وليست مقدرة competence الناس فوق كل ذلك إلا مالديهم من مجموعة محدودة من مرتكزات Strategies بناء الجمل أو النصوص الممكنة الوقوع وفهمها لكونها ذات معنى وذات نفع فى تحصيل الأشياء.

٤ - ١٠ - ولم يكن من الغريب أن يطمع اللسانيون أول الأمر فى أن يعالجوا النصوص بزعمها أنظمة افتراضية أو عناصر من أنظمة. ولقد حاول هاريس (١٩٥٢) أن يكشف عن قواعد التوزيع فى النصوص وأن يتقدم بدعوى أن النظامين الافتراضى والفعال متداخلان. وتم تخصيص مشروع استطلاعى تقدم به برتولت بريخت بوحى من النحو التحويلي لإيجاد جهاز من القواعد لتوليد النص أو استخراجها (فاندايك وإهوى وبيستوفى ورايدر ١٩٧٢؛ وانظر المناقشة بين إهوى ورايزر ١٩٧٢؛ وكومر ١٩٧٢ - b و C-١٩٧٢- لمعرفة النتيجة). ويرى توماس بالمر (١٩٧٥ : ٢٥٩) أن النصوص ليست أكثر من تتابعات من الوحدات الصرفية جيدة السبك يمكن علاجها بتوسيع «نحو الجملة» بواسطة وحدات صرفية ترقية punctuation morphemes. هذه التجارب ونحوها عرضة لنفس الاعتراضات المبدئية (١) أنها لا تكشف لنا عن نموذج مقبول للنشاط الإنسانى، (٢) وأنها لا تصلح من الناحية العملية لأية مجموعة كبيرة من النصوص التى يعتد بها (٣) وأنها لا تنظر نظرة واقعية فى قضايا مثل: النصوص الشاذة، والأسلوب الأفضل أو الأسوأ، إثارة اهتمام، والإعلامية، والتفاعل الاتصالي.

٤ - ١١ - وأنا اقترح المعايير التالية لجعل النصية TEXTUALITY أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها.

٤ - ١١ - السبك COHESION وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية SURFACE على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق pro-gressive occurrence بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي SEQUENTIAL CONNECTIVITY وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط. ووسائل التضام تشمل على هيئة نحوية للمركبات phrases والتراكيب Clauses والجمل (انظر الفصل الثاني) وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية pro-forms والأدوات والإحالة المشتركة Co-reference والحذف والروابط junctions (انظر الفصل الخامس).

٤-١١-٢ الالتحام COHERENCE وهو يتطلب من الاجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لايجاد الترابط المفهومي -CONCEPTUAL CONNECTIV-ITY واسترجاعه وتشتمل وسائل الالتحام على (١) العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص class inclusion ، (٢) معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، (٣) السعى إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص Text PRESENTED KNOWLEDGE مع المعرفة السابقة بالعالم PRIOR KNOWLEDGE OF THE WORLD (قارن: الفصل السابع - ٣ - ٢٩ وما بعدها).

٤ - ١١ - ٣ - القصد INTENTIONALITY : وهو يتضمن موقف منشيء النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام وأن مثل هذا النص وسيلة INSTRUMENT من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها (قارن: الفصل الرابع - ٤). وهناك مدى متغير للتناضى TOLERANCE في مجال القصد، حيث يظل القصد قائما من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام، ومع عدم

تأدية التخطيط إلى الغاية المرجوة. وهذا التفاضل عامل من عوامل ضبط النظام systemic regulation (الفصل الأول - ٤ - ٣ والتي بعدها) يتوسط بين المرتكزات strategies اللغوية في جملتها والمطالب السائدة للموقف.

٤ - ١١ - ٤ - القبول ACCEPTABILITY: وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام. وللقبول أيضا مدى من التفاضل TOLERANCE في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمتج (قارن: الفصل الثاني - ٢ - ٣٧) والتي بعدها).

٤ - ١١ - ٥ - رعاية الموقف SITUATIONALITY: وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استزجاعه. ويأتى النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره (قارن: الفصل السادس - ٤ - ٢ وما بعدها). وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في حالة الاتصال بالمواجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما توجد وساطة جوهرية كما في قراءة نص قديم ذي طبيعة أدبية يدور حول أمور تنتمي إلى عالم آخر (مثلا: جملجاميش أو الأوديسا). ان مدى رعاية الموقف يشير دائما إلى دور طرفي الاتصال على الأقل، ولكن قد لا يدخل هذان الطرفان إلى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصين.

٤ - ١١ - ٦ - التناص INTERTEXTUALITY: وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة. فالجواب في المحادثة (قارن: الفصل الثامن - ١) أو أى ملخص يذكّر بنص ما بعد قراءته مباشرة (قارن: الفصل السابع - ٣) يمثلان تكامل النصيرص بلا واسطة. وتقوم الوساطة بصورة أوسع عندما تتجه الأجوبة أو النقد إلى نصوص كتبت في أزمنة قديمة. وتكامل النصيرص عامل أكبر في مجال تحديا. أنواع النصوص TEXT TYPES (قارن الفصل السابع - ١) حيث تشكل التوقعات بالنسبة لطوائف CLASSES كاملة من الوقائع اللغوية.

٤ - ١١ - ٧ الإعلامية INFORMATIVITY : وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم UNCERTAINTY فى الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع فى عالم نصى textual فى مقابلة البدائل الممكنة. فالاعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلى لبديل من خارج الاحتمال. ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها فى مقابل عدم الوقائع non - occurrences (قارن: الفصل الرابع - ١ - ٨). وسوف أناقش فى الفصل الرابع بقاء درجة صغرى من الإعلامية فى المحادثة بواسطة تنظيم الدرجات القصوى منها.

٤ - ١٢ - وليست هذه المعايير جديدة بطبيعة الحال؛ ولكن علاجها حتى هذه اللحظة جاء مفرقا ومدمجا. فلقد تضخم السبك والالتحام مثلا بسبب الخلط فى فهم طبيعة الجملة (قارن: الفصل الأول - ٣ - ١ وما بعدها) (ولكن قارن: ويدوسون ١٩٧٣). إن مفهومي السبك والالتحام يمكن العثور عليهما فى أعمال مثل: هاليدى (١٩٦٤) وكريمس (١٩٦٨) وهارفيج (١٩٦٨ - a) وحسن (١٩٦٨) وباليك (١٩٦٨) وبيليرت (١٩٧٠) وفاندايك (١٩٧٢ - a) وجريمس (١٩٧٥) وهوبز (١٩٧٦ و ١٩٧٩) وهاليدى وحسن (١٩٧٦) ويولو نيكيل (١٩٧٧) وجوبز (١٩٧٧) ورايخمان (١٩٧٨) ووير (١٩٧٨). وقارن فى شأن القصد: ووندريخ (١٩٧١) ودريسلر (١٩٧٢ - a) وبروس (١٩٧٥) وفاندايك (١٩٧٧ - a) وسليزنجير (١٩٧٧) وكوهين (١٩٧٨) وآلن (١٩٧٩).

وستكون هناك كتابات أخرى فى الفصل السادس حول التخطيط والغايات. اما فى شأن القبول فاقراً كيرك وسقارتفيك (١٩٦٦) وجرينابوم (١٩٧٧). وأما عن رعاية الموقف فإن عمل هاليدى (مثلا ١٩٧٧) وكذلك الانثروبولوجيا الوصفية ethnography للاتصال (مثلا: جومبيرتس وهاميز ١٩٧٢ علي صلة بالموضوع). ومن أجل نظرات عامة إلى التناصر قرأ كريستيفا وكيرك (١٩٨٧). أما عن الإعلامية فقليل ما يمكن أن يوجد إلا حول المعرفة المسبقة «given» والجديد «new» فى الجمل كما جرى عرضها فى (الفصل الرابع - ٣). ولكن

قارن شانون (١٩٥١) وويلتر (١٩٦٤) وجريس (١٩٧٥) وبوجراند (١٩٧٨) - b و ١٩٧٩ - e). كل هذه المعايير السبعة للقضية نوقشت بالتتابع في عمل بوجراند ودرسلر (١٩٨٠).

٤ - ١٣ ومن هذه المعايير السبعة معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص: (السبك والالتحام) واثنان نفسيان بصورة واضحة (رعاية الموقف والتناص)، أما المعيار الأخير (الإعلامية) فهو بحسب التقدير. ولكن يظهر من النظرة الفاحصة أنه لا يمكن لواحد من هذه المعايير أن يفهم دون التفكير في العوامل الأربعة جميعا: اللغة، والعقل، والمجتمع، والإجراء processing. ومرة أخرى تظهر الحاجة الشديدة الإلحاح إلي البحث في تكامل العلوم. وهذه المعايير المقررة للقضية تظهر في صورة مبادئ تأسيسية CONSTITUTIVE principles بالمعنى الذي قصد إليه سيرل (١٩٦٩ - ٣٣ وما بعدها). أما أن يمكن أو لا يمكن لشيء أن يعدّ نصا فذلك يتوقف علي مراعاة هذه المعايير. وينبغي كذلك أن توجد مبادئ تنظيمية REGULATIVE principles بالمعنى الذي قصد إليه سيرل من أجل تمييز قيمة نموذج ثم الاعتراف له من قبل بأنه نص. وأزعم أن هذه الوظيفة التنظيمية تؤديها معايير التصميم design التي سأقترحها.

٤ - ١٤ ففي الوقت الذي يتحتم فيه لجميع النصوص أن تعتمد على المعايير النصية السابقة هناك خلاف في التصميم DESIGN عند إيقاعها. ولهذا ينبغي أن نحدد معايير التصميم DESIGN CRITERIA ونبحثها على نحو سوف يأتي (انظر في شأن هذه المناقشة والإيضاحات: الفصل الثالث - ٣ - ٥؛ والفصل الرابع - ١ - ٦؛ والفصل الرابع - ٤ - ١٢؛ والفصل السابع - ٢ - ٣٧؛ والفصل الثامن - ٢ - ١٩). وتأتي كفاءة EFFICIENCY النص من انتفاعه في الاتصال بأفضل نتائج الاقتصاد في الجهد حتى يصل إلى سهولة متزايدة PROGRESSING EASE. وأما تأثير EFFECTIVENESS النص فيتوقف على قوة وقعه عند مستقبله، وهي تعزز عمق الإجراء PROGRESSING EASE كما يتوقف على المساهمة في الوصول بمنتجه إلى غايته بتأيسر صلة RELEVANCE بين مادة النص وخطوات خطة ما. وتتوقف ملائمة APPRO-

PRIATENESS النص على التوافق الكمي بين مطالب الموقف الاتصالي ودرجة مراعاة معايير النصية، وهذه المعايير التصميمية في اعتقادي أكثر حيوية بالنسبة لمقدرة "competence" مستعملي اللغة بالنسبة للتفريق الشهير بين ما يعد وما لا يعد من قبيل الجمل، أو التفريق الموازي بين ما يعد وما لا يعد من قبيل النصوص. إن إنتاج ما لا يعد من قبيل النصوص يعرف بالطبع بواسطة الرفض أو عدم القدرة مطلقا على الاتصال (قارن: الفصل الأول - ٣ - ٤ - ٤؛ الفصل الرابع - ١ - ٢٣ - ٢؛ والفصل الخامس - ٤ - ١٢). وهكذا يكون عدم السبك والالتحام والقصد والإعلامية إلخ ذا ندرة نسبية، ولكن النصوص كثيرا ما تفقد كفاءتها أو تأثيرها أو ملاءمتها. وهكذا ينبغي ألا تقتصر دراستنا على كيفية بناء التراكيب اللغوية وتحليلها، بل يجب أن تشمل أيضا كيفية تحديد قيمتها.

٥ - المقدرة النصية

TEXTUAL COMPETENCE

٥ - ١ - ينبغي للعلم عند تناول الشواهد manifestations البيانات data من أي نوع أن يفرق في التناول بين النواحي الجوهرية والمطرده والمرتبطة بالموضوع وبين غير الجوهرية والشاذ وما لا يرتبط بالموضوع. فالصوتيات phonology مثلا تدرس نظم الأصوات مع إطراح عوامل معينة مثل قيمة الصوت وسن المتكلم وشخصيته، وإلا فإنه لا يمكن لنمطي صوتين من نطق واحد أن يتطابقا تماما. ولقد استبعد تشومسكي عند إنشاء نظريته النحوية عوامل بعينها مثل محدودية الذاكرة، والعدول عن خطة الكلام أثناء التكلم، كما تجاهل الأخطاء.

٥ - ٢ - ولقد تعرض التفريق في نطاق نحو الجملة بين المقدرة competence والاداء performance لنقد متزايد في السنوات الأخيرة. وكان حكم والتر كيتش (١٩٧٤: ٣) علي هذا التفريق أنه: «مجرد عذر للساني وعالم النفس كليهما يرر إهمال كل منهما لتتائج الآخر». ويطرح فيرنر كومر (١٩٧٥: ١٦٣) هذا التفريق لكونه «مرتبطا ارتباطا لا ينفك بنموذج لغوي عاجز عن أن يدخل في أية نظرية تتناول جانب العمل action». ولكن بعض الباحثين يُبْقُون علي هذا التفريق علي حين يدعون إلى تكيف جديد فيما يتصل بالمقدرة الاتصالية COM- MUNICATIVE COMPETENCE (فوندرليخ ١٩٧١؛ وهيرماس ١٩٧١؛ وهاميز ١٩٧٢؛ وشميدت ١٩٧٣).

٥ - ٣ - وأنا أيضا أرى أن هذا التفريق ذو قيمة ما دام الاستغناء عنه مستحيلا:

٥ - ٣ - ١ - فسواء كانت نظرتنا متجهة إلى الخصائص العضوية لتيار الكلام أم إلي المجموع الهائل للمواقف الاتصالية، لابد أن نقرّ بأن العناصر التي نراها متساوية من حيث وظائفها النظامية هي مختلفة علي السطح اختلافات هيئية ولكنها يمكن اكتشافها. وإذا كان للناس أن يقوموا بأي نوع من الاتصال فإن

عليهم أن يوزعوا انتباههم ووسائلهم توزيعاً متقائماً من أجل الوصول إلى النواحي ذات الارتباط بذلك على حين يتفاوضون عن بقية النواحي. ولا شك أن للساني الحق في أن يقلد هذا الانتقاء الذي لا يمكن بدونه إخضاع اللغة للتعرف والتعميم والوصف والأمور الأخرى التي أحصيناها في (الفصل الأول - ١ - ٨).

٥ - ٣ - ٢ - وينبغي لنا عند إرادة التناول المناسب لشواهد النصوص في لغة ما أن نخصص مجموعة محدودة نوعاً ما من المركبات strategies والإجراءات التي تنطبق على شواهد لغوية شديدة الشعب. ولا بد أن تشمل المقدرة com-petence على هذه الطاقات المشتركة ولو أن بعض التجليات ربما عوقها عامل الوقت أو الوسائل أو الانتباه أو التجربة من لدن المستعمل الفرد للغة.

٥ - ٣ - ٣ - وكثيراً ما تكون الأنشطة اللغوية إبداعية CREATIVE، وكثير من النصوص يحقق الإعلامية بتعديلات يدخلها المتكلم على التنظيم الطبيعي أو المتوقع للنصوص (قارن: بوجراند ١٩٧٩e). فإذا اتجهنا لإخضاع كل شاهد إبداعي لإطار الإجراءات التقليدية نفسها فإننا سنسئ تفسير الكثير من القضايا. عندئذ سيكون النحو الذي يمكن أن ينتج كل الصور الإبداعية في النهاية من القوة power بحيث ينتج كل تركيب يمكن تصوره حتى يصل في النهاية إلى انعدام النظام، ثم إلى عدم القدرة على تفسير أي شيء على الإطلاق^(١٥).

٥ - ٤ - ومن الممكن أن أصل إلى نتيجة مفادها أن الشواهد اللغوية تنم عن المقدرة competence ولكنها بحاجة إلى أن تشمل عليها (قارن: الفصل الأول - ٤ - ١٤). ومن ثم يجب التفريق بين المقدرة والأداء على نحو ما نفرق بين المركبات STRATEGIES (أي الإجراءات التطبيقية التي تصلح للاستعمال دائماً) والتطبيقات APPLICATIONS (أي الأحداث المفصلة التي تحدث في المواقف الاتصالية ومنها التشويش أو الفشل). وينبغي لنا أن نكتشف الآثار التي تقع عندما تفشل الوسائل؛ فالأخطاء في الكلام مثلا تصلح قرائن قيمة

(١٥) إذا تعدد التنظيم من نظام ما لم يمكن توقع ليه واهمة لغويولا لي المراد.

للدلالة على العمليات العقلية (قارن: فرومكين ١٩٧٣؛ وجودمان وبيرك ١٩٧٣؛ والأمثلة الواردة في الفصل السابع - ٣ - ١٤ وما بعدها). غير أنه قد يبدو من الغريب أن نخلط بين المقدرة والأداء بافتراض مرتكزات strategies خاصة لإنتاج الأخطاء وحالات الفشل.

٥ - ٥ - ولست أحدد المقدرة بأنها استطاعة التمييز فقط بين النص واللانص^(١٦). ويلجأ الناس إلى التعويض default باحتساب الأمثلة اللغوية نصوصا. غير أن مفهوم المقدرة النصية TEXTUAL COMPETENCE (فاندايك ١٩٧٢a: ٢٠٤) قد تدعو الحاجة إليه ليتضمن المجموعة التالية من المعرفة KNOWLEDGE والإجراءات PROCEDURES:

٥ - ٥ - ١ - معرفة رصيد البدائل options في النظم الافتراضية.

٥ - ٥ - ٢ - معرفة قيود CONSTRAINTS النظام الخاصة بانتقاء البدائل أو تلافئها.

٥ - ٥ - ٣ - معرفة المعتقدات والمعلومات KNOWLEDGE BELIEFS والإرهاصات EXPECTATIONS الشائعة في المجموعة الاتصالية أو المجتمع عن العالم الحقيقي^(١٧) «real world»

٥ - ٥ - ٤ - معرفة أنواع النصوص TEXT TYPES.

٥ - ٥ - ٥ - إجراءات استخدام UTILIZING النظم الافتراضية عند تفعيلها ACTUALIZATION.

٥ - ٥ - ٦ - إجراءات إنتاج PRODUCING النصوص.

٥ - ٥ - ٧ - إجراءات استقبال RECEIVING النصوص.

٥ - ٥ - ٨ - إجراءات المحافظة على النصية TEXTUALITY

(١٦) وكما أشار شانك وويلنسكي (١٩٧٧: ١٤٢) ليس التفريق بين النحوي وغير النحوي تفسيرا واقعا لأن

الناس لا يسعون إلي محاولة التفريق بين الإنجليزية والרטانة

(١٧) أنظر إلى «العالم الحقيقي» ليس بكونه مجموعة من الأشياء التي لا يمكن صحة وجودها، بل بكونه

بالأحرى نموذجا مقبولا من الناحية الاجتماعية مكونا من الأشياء الموجودة أيا كانت.

٥ - ٥ - ٩ - إجراءات تنظيم الإعلامية INFORMATIVITY .

٥ - ٥ - ١٠ - إجراءات استكمال معايير التصميم DESIGN CRITERIA (وهي الكفاءة والتأثير والملاءمة).

٥ - ٥ - ١١ - إجراءات إعادة استعمال المعلومات التي اشتمل عليها النص باستخراجها من المخزون الذهني في أعمال مثل التذكر RECALLING والإخبار REPORTING والتلخيص SUMMARIZING والتقويم .EVALUATING

٥ - ٥ - ١٢ - إجراءات المراقبة MONITORING والتصرف في المواقف MANAGING SITUATIONS باستعمال النصوص .

٥ - ٥ - ١٣ - إجراءات بناء الخطط PLANS وإيجادها ومراجعتها للوصول إلى أغراض GOALS .

٥ - ٥ - ١٤ - إجراءات إرهاب PREDICTING أنشطة الأطراف الأخرى في الاتصال وتنظيم REGULATING أعمال الخطاب من لدن المتكلم طبقا لذلك .

٥ - ٥ - ١٥ - إجراءات استبقاء الاتصال على رغم التضاربات DISCREPANCIES والمقاطعات DISCONTENUITIES وحالات اللبس AMBEGUITIES وما لا يتوقع NON-EXPECTED من الوقائع .

٥ - ٦ - وأنا أزعّم أن الذكاء INTELLIGENCE يمكن أن يعرف بأنه : هو التمييز بين هذه القدرات والصبغات وبين أي مهمة خاصة بين أيدينا . إنه هو الطاقة على العمل على مستوى أعلى ، وهو التعرف على أي عمل وأداؤه بوصفه إنجازا من نوع الأعمال المعتادة ، والنظر إلى أي مادة حاضرة بوصفها من نوع المواد العادية . ولهذا أسوق القول إن وظائف الاتصالات النصية العليا وهي : النحو، والمعنى، والمعلومات، والتخطيط إنما تصاغ من حيث هي نوعيات عليا من الوقائع والعلاقات (قارن: الفصل الثاني - ٢ - ١٥ وما بعدها؛ والفصل الثالث - ٤ - ٣ - وما بعدها؛ والفصل الرابع - ١ - ٦ وما

بعدها؛ والفصل الرابع - ٣ - ١٧ وما بعدها؛ والفصل الخامس - ١ - ٤ وما
بعدها؛ والفصل السادس - ١ - ١ وما بعدها؛ والفصل السادس - ٤ - ١٤ وما
بعدها؛ والفصل السابع - ١ - ٧؛ والفصل السابع - ٢ - ٨ وما بعدها؛
والفصل السابع - ٣ - ١٥ وما بعدها؛ والفصل السابع - ٣ - ٢٩ وما بعدها؛
والفصل الثامن - ٢ - ٨ وما بعدها؛ والفصل الثامن - ٢ - ٢١ وما بعدها؛
والفصل التاسع - ١ - ٤ وما بعدها). وقد يكون إخفاق اللسانين المستمر في
حل القضايا الرئيسية للاتصال اللغوي أو شرحها راجعا إلى توخي نظرة ذات
مستوى هابط (كتحليل معاني الكلمات المفردة، أو الصور السطحية المعينة لجملة
محددة وهكذا) (قارن: الفصل التاسع - ٨).

٦ - النص بوصفه بناءً لنموذج

TEXT UTILIZATION AS

MODEL BUILDING

٦ - ١ - يمكن أن نعثر على النشاط المبذول في إنتاج النص وفهمه تحت عنوان «بناء النموذج» MODEL BUILDING وذلك أن يعدّ طرفا الاتصال شريكين في بناء نموذج «عالم النص» BUILDING A TEXT-WORLD MODEL (قارن: مفهوم world أو model عند بيتوفي ورايزر ١٩٧٤؛ وبيتوفي ١٩٧٥؛ وشانك وآل ١٩٧٥؛ وكولين وبراون ولاركين ١٩٧٧؛ وفالمان ١٩٧٧، وجولدمان وبليرز ووايل ١٩٧٧، ورايخان ١٩٧٨، وروين ١٩٧٨ ووير ١٩٧٨؛ وبيتوفي ١٩٧٩). فالعالم النصي TEXTUAL WORLD هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بواسطة استعمال النص، وهو بهذه المثابة لا يوجد إلا في أذهان مستعملي اللغة. ومن ثم ينبغي لنا أن نتناول المسألة من خلال نماذج عوالم النص من حيث هي مكونة من مفاهيم CON-CEPTS وعلاقات RELATIONS في مساحة معلومية KNOWLEDGE SPACE (قارن: الفصل الثالث). ويعد نموذج عالم النص فرعاً على مساحة الموقف SITUATION SPACE (قارن: كلارك وكلارك ١٩٧٧: ٧٢؛ وجروتز ١٩٧٧: ٦). كما أن مساحة الموقف تأتي متلاحمة مع الخطط والغايات GOALS التي لدى طرفي الاتصال. (وبهذا تعدّ الغاية نموذجاً لموقف مستقبلي مطلوب (قارن: الفصل السادس - ٤ - ٤). ويمكن للمتكلم أن يتصور نموذجاً لموقف مستقبلي النص ومعلوماتهم (قارن: برس ١٩٧٥ وجولدمان ١٩٧٥: ٣٤٦؛ وبرونشتاين وبياك ١٩٧٧: ٣؛ وفينو جراد ١٩٩٧: a ٦٩؛ وكوهين ١٩٧٨: ١٦؛ وماكلآ ١٩٧٨: a ١٩؛ وكاربونيل - الأصغر ١٩٧٨: b ١٣٦؛ وألين ١٩٧٩: ٦). ويمكن أن نستمر بافتراض النموذج الذي يتصوره السامعون لنموذج المنشيء الذي تصوره لهم، ونموذج هذا الأخير لنموذجهم وهلم جرا (انظر: كلارك ومارشال ١٩٧٨). غير أنه يحتمل أن يكون ثمة حد نهائي THRESHOLD OF TERMINATION لا يهتم الناس عنده في الاتصال بأن يتخطوا كل هذه النماذج التي في داخل النماذج.

٦ - ٢ - لقد وضع يانوس س. بيتوفني وشركاؤه في البحث مدخلا موحدًا عنوانه: «بناء النص ونظرية بناء عالم» TEXT STRUCTURE/WORLD STRUCTURE THEORY (بيتوفني ١٩٧٥ a، و ١٩٧٥ b، و ١٩٧٨ a و ١٩٧٨ b و ١٩٧٩؛ وبياتشي وفريش ١٩٧٨). والفرص الأساسي في هذه النظرية أن هناك تطابقات مطردة بين بنية النص وبنية العالم الذي يسنيه هذا النص. ويلاحظ بيتوفني (١٩٧٨ a : ٤٤) والتي بعدها) أن هناك نظريتين عامتين نحو تطور هذه النظرية الموحدة. إذ يقول: «يمكن للمرء إما أن يبدأ من نظام فعال (مع محدوديته ولكن أيضاً مع وضوح معلوماته) ويحاول أن يعدل له إلى الحد الذي يتطلبه موضوع البحث، وإما أن يبدأ بما يتطلبه وصف الموضوع ثم يحاول اختراع نظام تبعاً لذلك». ولقد قدم بيتوفني عمله بالبدا من نقطة النظام الحاضر للمنطق الصوري، ولكنه أدرك الحاجة إلى إجراء تعديلات جوهرية، منها مثلاً أن نُظِّم القواعد في أشكال النحو المنطقية المستعملة إلى الآن لا تناسب وصف اللغات الطبيعية؛ لأن القواعد المنطقية المخصصة لأغراض استعمال اللغات الطبيعية لاتصلح إلا لتمثيل جزء من المعلومات النحوية التي توجد في استعمال هذه اللغات الطبيعية (بيتوفني ١٩٧٨ a : ٤٠). وآخر صورة تصورها (بيتوفني ١٩٧٩) تشتمل على شبكة مفصلة من المكونات مثل: المعجم ولغة التقعيد واللغة الطبيعية والوصف والتفسير والصوغ والتركيب والتحويل^(١٨) والتمثيل. ويجري تطوير لغة التقعيد بواسطة توسيع مجال الموضوع، ومع ذلك تبقى هي صالحة لأن تُترجمَ إلى حساب احتمالات *predi-cate calculus* من الدرجة الأولى. ويتم تناول وظيفة بناء النماذج بواسطة شرح المكونات. إن محاولة بيتوفني لتناول أصوات اللغة بالإدراك والشرح لهي سمة *feature* غير عادية لا توجد في أية صورة من صور المنطق العرفي للغات الطبيعية.

(١٨) إن التحويلات كما يراها بيتوفني تختلف عما يوجد في النحو المعتاد للجميل، لأنها تحوّل تراكيب إلى تراكيب من نُظْم مختلفة في نوعها.

٦ - ٣ - وهناك مسألة صعبة تتصل بطبيعة مفهوم لفظ «عالم» WORLD وهو مجموع المادة المتاحة في موقف ما. ففي عرف كارناب وكريبك يوصف العالم المنطقي LOGICAL WORLD بأنه ذرى ATOMISTIC (كريسويل ١٩٧٣ : ٣٨؛ فارن: هوجس وكريسويل ١٩٦٨). ويأتي الطابع الذري من تميّز DISCRETENESS الأشياء والوظائف بوصف ذلك مطلباً للأشكال والبراهين المنطقية. ومن هنا يبدو المحتوي مقولباً MODULAR غير ذي حساسية للتعدد في أنواع المواقف. ولقد أخبرني ماكس كريسويل (في محادثة شخصية) أنه تجري محاولات للتغلب على الطابع الذري بوضع العوالم المنطقية معاً في صورة كم متصل CONTINUUM (انظر أيضاً آيكيمير ورايزر ١٩٧٨). إن العمل في دراسة المجموعات المهوشة الذي قام به لطفني زاده وآخرون يؤدي إلى إنشاء حدود احتمالية غير متميزة بين كيانات المعنى. هذا التقدّم المهم لا يضمن بذاته كيفية الصياغات الإنسانية لاستعمال المعلومات والصورة التي يجب أن تنشأ في المستقبل.

٦ - ٤ - ومن الواضح أن العالم النصي TEXTUAL WORLD ذو قدرة عظيمة على التماسك CONTINUITY، فالمسافات بين المفاهيم والعلاقات التي يعرضها النص يمكن ملؤها وإثراؤها بمدى واسع من معلومات الفطرة السليمة COMMONSENSE KNOWLEDGE حول كيفية تنظيم الأحداث والأعمال والأشياء والمواقف. ويجب أن نذكر هنا ثلاثة عوامل: فيحدث التنشيط الموسع SPREADING ACTIVATION عندما تتصل المادة التي يثيرها النص بالمادة المعهودة من قبل وتلك المتعلقة بها في أذهان مستعملي النص (مثلاً: لتصور منظر ذي تفصيلات قليلة مذكورة في النص) (قارن: الفصل الثالث - ٣ - ٢٤). ويحدث الاستدلال INFERENCE عند ملاحظة الفجوات GAPS بين نقاط في مساحة المعلومات (مثلاً: لكشف جريمة في قصة بوليسية) (قارن: رابجر ١٩٧٤، و ١٩٧٥، و ١٩٧٦؛ وكلاارك ١٩٧٧؛ وكولينز وبراون ولاركين ١٩٧٧؛ ووارين ونيكولاس وتراباسو ١٩٧٩؛ وقارن: الفصل الثالث - ٤ - ٢٩ وما بعدها). أما التحديث UPDATING

فيغير العالم النصي من حيث ما يعدّ منه صادقا في أي لحظة عندما يتغير الموقف بمجرد الأحداث (قارن: ساسيردوتي ١٩٧٧: ١٥؛ ووينستون ١٩٧٧: ٣٨٦). إن النص الذي تطبق عليه هذه العمليات الثلاث قد يتنوع بين الأفراد الذين يستعملون اللغة، وسوف يُظهر الاختبار العملي في اعتقادي نقطة نهائية THRESHOLD OF TERMINATION يبلغ التماسك عندها حد الكفاية، فتتوقف هذه العمليات. وهذه العمليات على أي حال تجعل من غير الضروري لمنشيء النص أن يصرح بوضوح بكل ما هو مطلوب من أجل الالتحام coher-ence .

٦ - ٥ - وثمة طريقتا تناول مشهورتان لبناء النموذج تتفقان مع الطريقتين اللتين وردتا في اقتباس بيتوفي (في الفصل الأول - ٦ - ٢). فالتناول الاستقرائي INDUCTIVE يكون بالاستجابة للملاحظة والتجربة ليصل منهما إلى التعميم، أما التنازل الاستنباطي DEDUCTIVE فيستتج فرضا مبدئيا لما يجب أن يكون عليه مجال ما. وينطبق هذا التمييز على بناء نماذج لعالم النص أيضاً، وبخاصة من وجهة نظر السامع أو القارئ. إن الناس يلاحظون ويصنفون الأمثلة الواردة بوصفها دخلا طارئا BOTTOM-UP، ومن جهة أخرى ينشئون افتراضات باستمرار ثم يختبرونها بالنظر لما سيحدث أو يقال، ويطبّقون بذلك دخلا مختزنا TOP-DOWN (للمقابلة بين bottom-up و top-down انظر د. بورو وبراون وبراون ١٩٧٥؛ وبورو ونورمان ١٩٧٥؛ وبراون وبيرتون ١٩٧٥؛ وكوليتز وبراون ولاركين ١٩٧٧). وبحسب هذه النظرية تصبح عملية الفهم هي توحيد المعلومات الطارئة والمعلومات المختزنة (كيتش ١٩٧٤: ١١؛ قارن: أوسوبيل ١٩٦٣ عن التضمن (subsumption).

٦ - ٦ - وعند إرادة الحكم علي اختيار ما ينبغي توظيفه من المعارف يجري عمل التنمية المعرفية بواسطة قياس الأنماط PATTERN MATCHING (قارن: كولبي وباركنسون ١٩٧٤، ود. بورو ١٩٧٥؛ ورايجر ١٩٧٥ و ١٩٧٦؛ وروميلهارت ١٩٧٥ و ١٩٧٧ a؛ وكويبرز ١٩٧٥، وج. أندرسون ١٩٧٦، وكيتس ١٩٧٧ a، روينستون ١٩٧٧ و بورو وفينو جراد ١٩٧٧؛ وهاييز ١٩٧٧؛ وهافينز ١٩٧٨). وليس من المطلوب في القياس أن يكون محكما، ولكن

المنطوق أن يكون بين طرفيه مناسبة معقولة فقط (قارن: رايجر ١٩٧٥ : ٢٧٧؛ ودودز ١٩٧٨ a : ٧٦). للوصول إلى الكفاءة ينبغي أن تقارن أكبر نمط يمكن وبهذا نعالج أعظم كمية من الدخول في وقت معا (رايجر ١٩٧٥ : ١٥٧).

٦ - ٧ - وخير الوسائل لتمثيل إجراءات بناء النموذج وقياس الأنماط في الاتصال بواسطة النص في نظري هو الحل العام للإشكال GENERAL PROBLEM SOLVING (قارن: نويل وسامبون ١٩٧٢؛ ووينستون ١٩٧٧) (٢٠). ويمكن تعريف «الإشكال»* بأنه حالة يتم الانتقال منها إلى التي تليها بشيء من احتمال الفشل FAILURE. ويتمتع الانتقال عندما تكون هذه الحالة أو التي تليها متممة بالخطأ. والمتصدي لحل الإشكال PROBLEM SOLVER يعد مخططاً PLANNER ينبغي له أن يفتش SEARCH عن مساحة الإشكال PROBLEM SPACED من أجل وصل هذه الحالة بالحالة المقصود أن تتلوه. فإذا كانت احتمالات الفشل FAILURE أعلى من احتمالات النجاح SUCCESS فتلك مشكلة خطيرة SERIOUS PROBLEM، وإذا لم يستطع المخطط أن يتقدم مطلقاً فتلك عقبة A BLOCK، وهنا يكون من الضروري الرجوع عن الطريق الذي كان متبعاً إلى نقطة يمكن عندها أن يتم تقدم جديد. ويعتمد حل الإشكالات في الأساس كما نستطيع أن نرى على طرق التفتيش SEARCH التي ينبغي أن نذكر ثلاثة من أنواعها على الأقل (قارن: لينات ١٩٧٧ : ١٠٩٩ والتي بعدها؛ ووينستون ١٩٧٧ : ٩٠ وما بعدها و ١٣٠ وما بعدها).

(٢٠) استعمل مصطلح general للإشارة إلى أن أول برنامج كتبه آلن نويل وهربرت سامبون وكليف شو في سنة ١٩٥٧ كان مقسماً إلى جزء من النظام مستقل عن الأداء a task-independent part of the system. ويشتمل على آليات الحل العام، وجزء من النظام يشتمل على معرفة ما يحيط بظروف الأداء task environment. (نويل وسامبون ١٩٤٢ : ٤١٤؛ قارن: الفصل التاسع - ١ - ٧). ويختلف استعمال المصطلح general problem solving إلى حد ما عما تصوره هذان الباحثان، وإن كان ذلك فيما أرجو ينسجم مع نظريتهما العامة.

* علامات التنصير من عند المترجم لبيان أن «الإشكال» هو موضوع الكلام

٦ - ٧ - ١ - ففي تحليل الوسائل والغايات MEANS-END ANALYSIS يركز الباحث عن الحل على الخلافات الكبرى بين النقطة الأولى أو حالة الاستهلال أي البدء INITIAL STATE والنقطة النهائية أو حالة الغرض GOAL STATE . وتتجه كل العمليات إلى اختصار الخلافات بين هاتين الحالتين . ويشبه تحليل الوسائل والغايات أثناء التقدم في إجرائه بحث البدء بالعمق depth-First search بصورته الموضحة بعد قليل (وينستون ١٩٧٧ : ١٣٣) . غير أن الكفاءة تزداد إلى مدى كبير إذا تم تحليل الوسائل والغايات من الاتجاهين : الأمام والخلف ، مع الاعتماد على السمات المميزة للحيلولة دون تكرار سلوك الطرق التي سلكت من قبل (وودز ١٩٧٨ b : ١٩ والتي بعدها) .

٦ - ٧ - ٢ - في بحث البدء بالاتساع breadth-first search ينظر الباحث إلى الأمام منذ الحالة الاستهلالية سعياً إلى الغرض الفرعي القريب proximate sub-goal فقط ، ثم يعمل على فرز جملة الطرق الموصلة إلى هذا الغرض الفرعي ، ثم عند الوصول إلى هذا الغرض الفرعي تطبق الإجراءات نفسها للوصول إلى الغرض الفرعي التالي . ومع أن بحث البدء بالاتساع يتسم بالحذر والقرب من الثبات نراه يتطلب الكثير من الوقت ووسائل البحث ، وقد يكون عديم الكفاءة في حل ما هو واضح بالحدس .

٦ - ٧ - ٣ - ويحاول الباحث في البدء بالعمق depth-first search أن يسرع على طول المسافة إلى الغرض مع تتابع فريد للطرق المؤدية إليه ، وما دام الأمل قائماً للوصول إلى الغرض فإن جملة الطرق التبادلية لا يتم استكشافها في نقط متوسطة منها . فإذا عرضت عقبة فإن المخطّط يعود خطوة إلى الوراء ثم يندفع مرة أخرى إلى الأمام . ويتسم بحث البدء بالعمق بالمخاطرة ، ولكنه مطلوب عند ضيق الوقت أو قلة الطاقة بالنسبة للبحث . وهو بحث كفاء عندما يكون الحل واضحاً بالحدس .

٦ - ٨ - وتظهر أهمية حل الإشكالات في استعمال النصوص في ضوء الدور المركزي للترابط CONNECTIVITY بين الوقائع النصية (قارن . الفصل الأول - ٤ - ٤) ولذا كان من الضروري لمن يتواصلون من خلال النصوص أن يصوغوا هذه الوقائع مع وصلها بالوقائع الأخرى ، وإلا فهذا الترابط في

الغالب يصعب التعرف عليه (قارن: الفصل الأول-٤-٤) وهكذا نرى كل علاقة يصعب التعرف عليها بين الوقائع تمثل إشكالا بالمعنى الذي وضحناء في الفصل الأول - ٦ - ٧ وتمثل الوقائع النصية المستبعدة الحدوث وغير المعتادة إشكالا خطيرا (قارن: الفصل الرابع - ١ - ١٢). إن الانهيار التام لعملية الاتصال بسبب عدم الالتحام incoherence مثلا يمكن أن يكون عقبة block . وأزعم أن حل الإشكالات هو نفسه العامل الذي يجعل عمليات التفعيل actualization تفتقر عن المبادئ التي تحكم النظم الافتراضية للغة (قارن: الفصل الأول - ٤ - ١ وما بعدها). فلو كانت النظم الافتراضية تقوم على التقابلات opposition (كما قال ديسوسير) أو قواعد البناء structural rules (كما قال تشومسكي) لكانت الإشكالات غير محتملة الظهور. أما التفعيل actualization في المقابل فإنه يتطلب من يستعملون اللغة ليفرضوا الترابط دائما بواسطة بناء التراكيب ذات الطابع المتنوع والمختلفة من خلال الارتجال. والمثال الذي يوضح هذا التقابل هو الفرق بين النظام الافتراضي المكوّن من تصورات في معجم ما a LEXICON وفي عمليات تطبيق الاستدلال INFERENCE المذكورة في الفصل الأول - ٦ - ٤ .

٦ - ٩ - وعمّا لا يزال موضع نقاش مسألة الطريقة التي يستعملها الناس في الاستدلال، ومتى يكون الاستدلال، ويتعرف راستي بورو وجون سيلبي براون (١٩٧٥) على مجموعتين من الاستدلالات هي استدلالات إضافية «if-added» واستدلالات احتياجية «if-needed» فتقع الاستدلالات الإضافية كلما جدت معلومة على عالم النموذج. وهذه المادة الجديدة تتطلب علاقة مقنعة على الأقل لربطها عند النقط المناسبة. فلربما عمد مستقبل النص مثلا إلى أن يقوم بالاستدلال على أسباب مقبولة لما قام به فاعل حدث وارد في النص من أجل فهم هذا الحدث (قارن: ماك درموت ١٩٧٤؛ ورايجر ١٩٧٤ و ١٩٧٥). وأما الاستدلالات الاحتياجية فلا تطرأ حتى تأتي المناسبة بسبب واقعة لاحقة. فنحن على سبيل المثال قد نستدل من أعمال شخص ما في جريمة غامضة على أنه في الحقيقة هو مفتش الشرطة وأنه في حالة استخفاء، وذلك بواسطة تذكر الأعمال السابقة للمفتش (وتلك هي الحركات المفضلة في قصص كونا)

دويل). ولا شك في أن شارنيك (١٩٧٦) على صواب في دعوى أن الاستدلالات التي تحدث بمناسبة إشكال ما (problem occasioned) تحدث عند ملاحظة هذا الإشكال. ومن أمثلة ذلك الانقطاع DISCONTINUITY عند عدم التعليق، وكذلك الفجوة GAP التي تحدث عندما يشتمل التعليق على شق slot لا يتضمن أي محتوى، وكذلك التضارب DISCREPANCY الذي يقع عندما لا تنسجم المعلومات التي قررها النص مع عالم المعرفة المختزنة (قارن: الفصل الرابع - ١ - ١٢). إن فكرة كلارك وهافيلاند (١٩٧٤) عن استدالات العبور يمكن تفسيرها أيضا بحل الإشكالات. فمن الواضح أن مسألة الاستدلال حيوية بالنسبة لمحاكاة الحاسب الآلي لعمليات الفهم الإنساني، أي كيف يمكن أن يتم إعداد البرامج لدخول جديد دون اللجوء إلى إحداث كمية متفجرة من الاستدلالات (قارن: ويلنسكي ١٩٧٨: ٦ وما بعدها)؟ والمسألة مهمة جدا كذلك بالنسبة لنظريات الإدراك الإنساني في علم النفس (قارن: سبايرو ١٩٧٧).

٦ - ١٠ - يتألف نموذج عالم النص من مضامين قضايا PROPOSITIONS، أي من الهيئات التي يعتقد بعض الباحثين أن كل المعلومات تخزن وتستعمل فيها (قارن: ج. أندرسون وياور ١٩٧٣؛ وكيثش وكيثش ١٩٧٣؛ وكيثش ١٩٧٤؛ ومير ١٩٧٥ و ١٩٧٦؛ وفريد ريكسون ١٩٧٥ و ١٩٧٧؛ وأندرسون ١٩٧٦؛ وفاندايك ١٩٧٧؛ وسيموتز ١٩٧٨). ونستطيع دون إصرار على الضبط المنطقي أن نعرّف مضمون القضية بأنه علاقة قائمة بين تصوّرين (مثلا في قولنا: «السماء زرقاء» تقوم علاقة الوصفية «attribute-of» بين المفهومين اللذين استدعاهما لفظا «السماء» و«زرقاء»). إن ترابط العالم النصي يتطلب أن تكون ثمة علاقة واحدة على الأقل تربط كل مفهوم إلى المساحة الكلية للمعلومة.

٦ - ١١ - وهذه النظرة موازية إلى حد ما لصور من تناول أقدم منها. فالمفهوم التقليدي للجملة بوصفها تعبيراً عن «فكرة كاملة» (الفصل الأول - ٣ - ١) يصلح مثالا لذلك. وتعدّ قبود التوارد المسلطة على المقررات المعجمية في النحو التحويلي علاجا جزئيا لهذه النظرة. وفي علم الدلالة التوليدية نشأ

الجملة كما هو واضح من بنية أساسية «base-structure» لمضامين القضايا . ومع ذلك لم يكن علم الدلالة التوليدية كافياً (فاندايك ١٩٧٢ : ٣٦) لأنه نظر إلى حدود الجملة كما لو كانت جزءاً لا يتجزأ من نظام تكوينات المعنى التحتي underlying meaning .

٦ - ١٢ - وما هو أولى بالقبول أن المعنى التحتي منظم تماماً في صورة مفاهيم وعلاقات يمكن أن تخطط be MAPPED في صورة جمل (أو تراكيب من أي نوع) بطرق مختلفة. إن نظرية التكافل بين المفاهيم Conceptual de-pendency التي قال بها روجر شانك (١٩٧٢) وهايز (١٩٧٣) ثم شانك وآل (١٩٧٥) وشانك وآيلسون (١٩٧٧) تستعمل أمثلة افتراضية لا ترتبط بواقعها باللغة. وحين يبني الناس نماذج لعوالم النصوص يستندون إلى التكافلات النحوية والتكافلات المفهومية على التوازي in PARALLEL (قارن: مارسلين - ويلسون ١٩٧٥؛ وبيرتون ١٩٧٦؛ وودز ١٩٧٨c). والتفاعل بين نوعي التكافل غير ذي تقابل محكم is ASSYMETRICAL على أي حال. فهو لا يتسم بعلاقة (واحد إلى واحد) بين المجالين (قارن: لو نجيشيكر ١٩٧٦ : ١٢؛ وجولدمان بولزروابل ١٩٧٧ : ١٧؛ وهايز ١٩٧٧ : ١٦٦). فمجموع الوسائل النحوية للغة كالإنجليزية أقل كثيراً من مجموع المفاهيم، ومع ذلك لا بد أن تكون هناك حالات تفضيلات PREFERENCES تقرر أن تكافلا نحويًا ما يحتمل أن يكون أكثر انطباقًا على مجموعة قليلة من التكافلات المفهومية دون غيرها، وبالعكس (قارن: الفصل الثالث - ٤ - ١٦ وما بعدها). إن استعمال التفضيلات يعد ناحية رئيسية أخرى من ضوابط السيرنطيقًا تجعل التطبيق يُوصف بالكفاءة (قارن: الفصل الأول - ٤ - ٥ - ٢) (٢١).

٦ - ١٣ - ويبدو نموذج عالم النص بصورة مختلفة إلى حد ما من مستعمل للغة إلى مستعمل آخر. ويعود ذلك إلى تعميم التنشيط والاستدلال والتحديث وعدم التقابل المحكم. غير أنني لا أوافق على أن النموذج يستعصى على

(٢١) إن استعمالي لمفهوم المفاضلات preferences أعم إلى حد ما من المعنى الذي استعمله وبلعكس. ولو أنني في الأصل استوحيت مما قاله .

المعرفة لهذا السبب (تيريز وجرين ١٩٧٧: ٤)، أو على أن هناك عددا غير محدود من النماذج للنص الواحد (فيير ١٩٧٨: ٢٩). ونموذج عالم النص ذو طابع احتمالي PROBABILISTIC شأنه شأن معظم صور الإدراك الإنساني، فمحتوياته المضبوطة ربما استعصت إلى حد ما على الحكم -be partly UNDE- CIDABLE، وقد تكون علاقاتها بالنص السطحي غير واضحة الحدود not Fully DETERMINATE (كيتسن ١٩٧٤: ١٥٣). ولكن الاتصال إنما يوصف بالكفاءة في العادة لأن أطرافه يستندون إلى الوقائع المحتملة، وسيطرون على عدم التحديد non-determinacy بحسن التخطيط عند استعمال مختلف أنواع القرائن. أما كيفية معرفة الناس بما يجري في نص ما فهي حالة خاصة من حالات معرفة الناس بما يجري في العالم بجملته. وإن البناء على الوعي الاستبطاني sensory apperception يسمح لنا بفهم العالم لأن لدينا على الأقل بعض المرتكزات strategies التي يستعان بها على التوقع، ونضع عناوين للدخل label input (انظر الفصل الرابع - ٢) بواسطة مقارنة الأنماط.

٦ - ١٤ - لقد عولجت هذه المسائل في الماضي من خلال تصور الاتصال الإنساني منظويا على «مرسل» يقوم «بترميز» رسالة يفك رموزها «المستقبل». وهذه المصطلحات المأخوذة من الهندسة (قارن: روزنشتاين وراثسون وسنير ١٩٦٤: ٢١) هي إما مبتذلة لأن من الواضح أن الرسائل اللغوية لا تتطابق مع أشياء في عالم الحقائق، وإما أن تكون مضللة دون مواربة، لأن الترميز يستدعي إلى الذهن استبدالاً آلياً للرموز بالأشياء. إن رموز مورس مثلا لا تتطلب شيئا أكثر من استبدال كل واحدة من الإشارات الكهربائية بواحد من الحروف الهجائية، ولكن إنتاج النصوص وفهمها يتوقفان على عمليات كبيرة من الحكم والانتقاء والتخطيط والتصميم وحل الإشكالات. وتتضح الفروق العظيمة بين هذه الأنشطة والتبادل الآلي للرموز عند النظر إلى الفشل الأسطوري للمحاولات الأولى للترجمة الآلية.

٦ - ١٥ - وربما استطعنا أن نفهم طبيعة الاتصال اللغوي كلها مرة أفضل بواسطة الانتقال من الجملة إلى النص. فبالإضافة إلى كون نظم القواعد الآلية

ليست في ذاتها عملية ولا مفيدة نراها تفشل في تناول نواح كثيرة من المعرفة والتعبير الإنساني. فاللغة تتجلى من خلال أرتال من الرموز المتميزة، ولكنها تصف وتراقب وتعبر عن عوالم مستمرة من المعرفة والتجربة (قارن : الفصل الاول - ٦ - ٤) (٢٢). إن الرياضيات والمنطق الصوري أداتان مفيدتان عند تناول الأمثلة، ولكنهما لا ينبغي أن يفرضا على هذه القضايا التي في طوقنا أن نوجهها. والاتجاه إلى إبراز التماسك في المنطق (الفصل الاول - ٦ - ٣) خطوة رئيسية في الإبقاء على التفضيلات الإنسانية التي تُطرح غالبا من أجل الشكلاية. وليس من الواضح حتى الآن كيف يمكن لهذه المقترحات أن تتناول عمليات المعرفة في زمان حقيقي. فما لم تكن هناك مرتكزات Strategies ناجمة لتوقع ما ينبغي لهيئة العالم أن تكون عليه، وكيف يتبع بعضها بعضا، فإن تقسيم العوامل بطريقة كريسويل (الفصل الأول - ٦ - ٣) يمكن أن يتطلب كمية متفجرة من العمليات الحسابية (قارن: الفصل الثاني - ١ - ٢ لمعرفة معنى التفجير). ولقد يكون لى أن أؤكد على أن فكرة عدم التحديد - non - determi nacy غير دقيقة ولا علمية، بل بالعكس، إن المهمة الأساسية للعلم أن يستكشف وينظم كل أنواع المجالات على أعلى مستوى من الدقة بالنسبة للموضوعات والصبغات ذات العلاقة.

(٢٢) ينظر لورتوني (١٩٧٨ C) إلى هذه المفارقة بوصفها عاملا يجعل المجاز ضروريا للاتصال الإنساني.

٧ - نظرة شاملة إلى الموضوع

OVERVIEW OF THE DISCUSSION

٧ - ١ متابعة المهمات المعرفية التي حاولت أن أخصها في هذا الفصل أرى أن الصورة التقليدية للمناقشات اللسانية قد تكون غير متتجة: أقصد النحو والدلالة والتداولية Pragmatics؛ أو الوحدات الصوتية والصرفية ثم الكلمات المقررة والجمل ثم النصوص، وهلم جرا. لقد كانت هذه الصورة مناسبة لمطالب مناقشات الأنظمة الافتراضية، على حين يتجه اهتمامي إلى التفعيل ac-tualization وسأناقش طائفة من القضايا التي تبدو ذات علاقة بعلم النصوص تبعاً للمعايير التي وضعتها الآن.

٧ - ٢ - يدور الفصل الثاني مع عمليات إيجاد الترابط الرصفي SEQUENTIAL CONNECTIVITY بواسطة بناء التكافلات النحوية. وأنا أقدم هنا تخطيطاً شكلياً Formalism يُسمى: «شبكة التحولات المتنامية» Augmented Transition Network وهي تنمو بواسطة الانتقال من واقع نحوي إلى واقع آخر بواسطة التوقع والتأكد Confirmation المتمين إلى مسلك بيني in between. وأنا أزعّم أن هذا التخطيط الشكلي يمكن أن يحسن تناول القضايا الكبرى «للنحو الإجرائي للنص» بقدر ما يمكن ذلك للطرق الأخرى على الأقل.

٧ - ٣ - ثم نعرض في الفصل الثالث على عمليات الحفاظ على الترابط CONCEPTUAL CONNECTIVITY بواسطة بناء نماذج عالم النص. وأنا أعرض هنا لبعض القضايا الكبرى من خلال مفهوم «الدلالة الإجرائية» Pro-cessual Semantics التي يرد المعنى بحسبها على صورة إجراء Pro-cess. وأنصوّر المناسبة في النصوص جزءاً من تأملات أوسع في كيفية اكتساب المعرفة واختزانها واستعمالها. ثم أوضح بعد ذلك كيفية بناء نموذج عالم النص من كتاب مدرسي للقراءة.

٧ - ٤ - أما في الفصل الرابع فسوف استكشف قضية الإعلامية IN-FORMATIVITY بوصفها الحد الذي يصل إليه احتمال الوقائع النصية،

من الإعلامية ثلاث درجات orders لأقول إن الاتصال يتحقق عادة على مسار الدرجة الوسطى. أما الإعلامية المنخفضة الدرجة أو العالية الدرجة إلى أقصى حد فإن تنظيمها يتم مع النظر إلى ذلك. وأقترح أن تبحث هذه القضية في نطاق نظرية عامة لكيفية البناء على الوعي الاستبطاني الإنساني human apperception والإجراءات الإعلامية (قارن: روميلهارت 1977a). والنص النموذجي المستعمل هنا مقال صحفي.

٧ - ٥ - ويتناول الفصل الخامس أشهر منطقة من مناطق لسانيات النص، وهي وسائل الترابط التي تعمل خارج حدود الجملة، وأعتقد أن هذه الوسائل تعمل على المحافظة على استبقاء نقط المعرفة المنشطة في حال الإضافة أو التعديل. إنها تسمح للصورة السطحية أن تلخص وترابط دون الحاجة إلى إعادة ذكر كل شيء. ويترتب على ذلك إمكان الإشارة إلى المعرفة دون الوقوع في إعلامية من الدرجة الدنيا. وقد تدعو شدة التلخيص في مواقف معينة إلى تدمير هذه المزايا على أي حال، لأن المجهود المدخر سيضيع مرة أخرى في محاولة الإبقاء على توفير الالتحام coherence لما بقي.

٧ - ٦ - ولقد خُصص الفصل السادس للكيانات الكبرى التي تعطي أخطا شاملة GLOBAL PATTERNS لدعم عمليات الفهم وتكييفها وتوجيهها. وأنا أفرق بين المقصود بالأطر FRAMES والمشروعات SCHEMES والخطط PLANS والمدونات SCRIPTS بوصف هذه المفاهيم تكوينات معرفية ذات منظورات متميزة. ثم أبدى احتمال انطباقها على صياغة النماذج المتنوعة. وسأقدم الشواهد من تجارب تمت في السنوات الماضية.

٧ - ٧ - ويستطلع الفصل السابع قضايا أخرى لإنتاج النص وصياغته. فأقدم ببعض المقترحات فيما يتصل بكيفية احتمال التناول لصياغة نماذج أنواع من النصوص - سأنظر في بعض قضايا إنتاج أنواع النصوص TEXT TYPES PRODUCTION التي يمكن أن تنطبق على القصص البسيطة للأطفال، وعلى غنائية شيكسبير في الوقت نفسه. وسيجرى استكشاف بعض نواحي التناص INTERTEXTUALITY على أساس عمليات تذكر محتويات النص.

٧ - ٨ - وسأنظر في الفصل الثامن في مجالين حظيا بانتباه خاص في دراسة صياغة الخطاب. فيجرب تحليل المحادثة CONVERSATION من ناحية معجى الموضوعات، وكيفية حكم كل من الطرفين على استحقاق الطرف الآخر فى لحظة ما أن يتكلم. أما القصص NARRATION فسوف يناقش فى حدود مرتكزات strategies الإخبار بقصص مشوقة وفهمها، كما يتمثل ذلك فى القصص الشعبية الإنجليزية.

٧ - ٩ - ويختتم الفصل التاسع هذا المجلد بنظرات فى تطبيقات APPLI-CATIONS لسانيات أنص كما عرضت هنا. وسوف أبحث فى طبيعة المشروع التربوى EDUCATIONAL ENTERPRISE، وأقترح الوضع المؤثر فى التدريب على القدرات النصية، وأعرض للاتجاهات الصاعدة فى مجال القراءة لاحتتمال اشمتمال نظم دراسات ١٢٧ والكتابة. ثم أقدم بعض الدوافع المسببة الترجمة والدراسات الأدبية على لسانيات النص. وفى هذا الجؤ من التوقعات المستقبلية يتهى الكتاب بعبارة متفائلة.

٧ - ١٠ - أمل أن أكون قد وضحت سبب إحساسى بأن اللسانيات ينبغى أن تهتم بالأنشطة الإنسانية. فمع أن هذه النظرة مهمة غالباً نجد لها جذوراً فى كتابات محترمة كما تشهد كلمات أوتويسبرسن منذ أكثر من نصف قرن مضى: «جوهر اللغة الإنسانية هو النشاط الإنسانى، نشاط الفرد ليكون مفهوما لدى الآخر، ونشاط الآخر ليفهم ما كان فى ذهن الأول. هذان الشخصان [...] وعلاقة كل منهما بالآخر لا ينبغى أن تنسى أبدا إذا أردنا أن نفهم طبيعة اللغة».